150 قصة

من نهاية الظالمين والظالمات



منصور عبد الحكيم

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

150 قصة

من نهاية الظالمين والظالمات



اسم الكتاب: ١٥٠ قصة من نهاية الظالمين والظالمات
اسم المؤلف: منصور عبد الحكيم
المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٨٩٦/ ٢٠٠٤
الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977-376-086-3
جمع اليكتروني: فور إتش ت: ٦٦٧٤٣٣٥/٠١٠
تصميم الغلاف: وائل سلامة
التنفيذ الفني: أحمد وليد ناصيف
الإشراف الفني: محمد وليد ناصيف
الإشراف العام: أ. سعد بكري كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:
حلب: دار الكتاب العربي - الجميلية أمام مسرح نقابة - ت: ٢٢٥٦٨٦٠
دمشق: مكتبة رياض العلبي - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨
مكتبة النوري - أمام البريد ت: ٢٢١٠٣١٤
مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

حقوق الطبع محفوظة

تحذير:
جميع الحقوق محفوظة لدار الكتاب العربي للنشر وغير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد اليكترونية أو نقله بأي وسيلة أخرى أو تصويره أو تسجيله على أي نحو بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر.

الطبعة الأولى
٢٠٠٥

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة
URL: http://www.daralkitab.net

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودي هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢
لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦ / ٠٥ - تليفون: ٦٥٢٢٤١ / ٠٣ - ص.ب. ٣٠٤٣ الشويفات
E-mail:darkitab2003@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (سورة الشعراء ٢٢٧)

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (سورة الأنعام ٤٥)

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾

(سورة إبراهيم ٤٢ - ٤٣)

وقال ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن يسفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم» (رواه احمد ومسلم)

وقال أيضا: «إن الله يمهل الظالم فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (سورة هود١٠٢) وأخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ﷺ وبارك عليه، خير من بلغ عن ربه عز وجل فكان خير مبلغ وناصح ومجاهد فى سبيل الله حتى أتاه اليقين.

ثم أما بعد

فإن الظلم ظلمات يوم القيامة كما أخبرنا ﷺ.

وقد حرم الله عز وجل الظلم على نفسه وحرمه على عباده وأمرهم بعدم الظلم فقد قال فى الحديث القدسى الذى رواه عنه رسولنا ﷺ: قال: قال الله تعالى «يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً»(١).

ولا شك أن الظالم شخصية معقدة نفسياً منحرفة أخلاقيّاً ودينيّاً، يعتقد فى قرار نفسه أنه عادل وليس بظالم وذلك دليل جهله المركب وظلمه لنفسه قبل أن يظلم غيره.

وأنواع الظلم كثيرة ومتعددة منها الشرك بالله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٢) فكان وصف الله تعالى للشرك بأنه ظلم عظيم.

---

(١) الحديث فى صحيح مسلم عن أبى ذر الغفارى رضي الله عنه.

(٢) سورة لقمان: ١٣.

وكانت أولى وصايا لقمان عليه السلام لابنه الابتعاد عن الشرك بالله حتى لا يكون من الظالمين.

فالله هو الخالق البارئ المصور، فكيف يعبد غيره!!.

ومن المعلوم أن المشرك بالله يعبد الله وإلها غيره معه، فهو غير الكافر الملحد بالله. فإذا كان الشرك بالله ظلما عظيما، فما بالك بالكافر الملحد الذى لا يؤمن بوجود الله أصلاً!!.

ومن أنواع الظلم وأشدها ظلم الإنسان لأخيه الإنسان من إيذاء وقتل بغير حق، فقد أوجب الله تعالى النار للظالم مهما كان قدره واعتقاده.

قال ﷺ: «من أقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة.

فقال - أى راوى الحديث: وإن كان شيئاً يسيراً يارسول الله؟.

فقال ﷺ: «وإن كان قضيباً من أراك»[1].

وقال أيضاً: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين».[2]

وذكر قصص الظالمين والظالمات قديماً وحديثاً هى للعظة وحتى لا نقع فيما وقع فيه هؤلاء الظالمون.

وهذا الكتاب استكمالاً لما سبق من سلسلة القصص التى أصدرناها عن دار الكتاب العربى كى ينتفع بها المسلمون فى بقاع المعمورة، ونرجو أن تنال القبول والرضا والإعجاب، وأن تكون فى ميزان حسناتنا يوم القيامة.

و ﷺ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

منصور عبد الحكيم

---

(١) رواه مسلم عن أبى أمامة اياس بن ثعلبة الحارثى رضي الله عنه، وقضيب الأراك هو عود السواك الذى يستاك به.. ومعناه أى شيء ولو كان بسيطاً.

(٢) متفق عليه.

(١) احشروا الذين ظلموا وأزواجهم

من مشاهد عاقبة الظالمين يوم القيامة ما ذكره القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾(١).

فالظالمون يوم القيامة إذا ما عاينوا أهوال يوم القيامة ندموا وتأسفوا حيث لا ينفع الندم، ولا يفيد التأسف ويأمر الله تعالى ملائكته أن يجمعوا الظالمين ومن تبعهم من أزواجهم الذين هم أمثالهم ومن عبدوهم من دون الله حيث الجحيم المقيم فى نار وقودها الناس والحجارة.

قال شريك عن النعمان قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «احشروا الذين ظلموا وأزواجهم..» قال: أشباههم.

قال: يجىء أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب الربا مع أصحاب الربا وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أزواجهم نساءهم(٢). وهذا والله أعلم إذا كن مثلهم فى الظلم.

وعن سعيد الجريرى عن أبى العلاء قال: يؤتى باليهود يوم القيامة فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟.

(١) سورة الصافات ٢٢ ـ ٢٤.

(٢) انظر تفسير ابن كثير. وقد رجح الرأى الأول.

فيقولون: نعبد الله وعزيراً.(١)

فيقال لهم: خذوا ذات الشمال.

ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟.

فيقولون: نعبد الله والمسيح.

فيقال لهم: خذوا ذات الشمال.

ثم يأتى بالمشركين فيقال لهم لا إله إلا الله، فيستكبرون، ثم يقال لهم لا إله إلا الله، فيستكبرون.

فيقال لهم: خذوا ذات الشمال.

قال أبو نضرة: فينطلقون أسرع من الطير.

قال أبو العلاء: ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم:

ما كنتم تعبدون؟.

فيقولون: كنا نعبد الله تعالى.

فيقال لهم: هل تعرفونه إذا رأيتموه؟

فيقولون: نعم.

فيقال لهم: فكيف تعرفونه ولم تروه؟.

فيقولون: نعلم أنه لا عِدل له.

قال: فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجى الله المؤمنين(٢).

(١) العزيرهو احد أنبياء بنى إسرائيل وهو الذى نام مائة عام ثم أحياه الله، فقالت اليهود قديما إنه ابن الله.

(٢) تفسير ابن كثير لسورة الصافات.

(٢) قوم ثمود

ثمود قوم نبى الله ورسوله صالح عليه السلام، كانوا يعبدون الأصنام من دون الله وأطلق عليهم القرآن الكريم أصحاب الحجر حيث سكنوا أرض الحجر» وهى الجزيرة العربية.

وكانوا من المعمرين حتى قيل إن الرجل منهم يعيش أكثر من ثلاثمائة عام.

وقد عمدوا إلى الجبال فنحتوا منها بيوتهم وقصورهم، قال تعالى ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾(١).

ووصلت حضارة ثمود منتهاها ودروتها وكفروا بأنعم الله عليهم، فأرسل الله إليهم رسولاً منهم هو نبى الله صالح بن عبيد بن أسف، فدعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد وترك عبادة الأصنام.. قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ (سورة هود ٦١ ـ ٦٣)

ولكن قوم ثمود كغيرهم من الأقوام الغابرة الكافرة كذبت نبيهم بل

---

(١) سورة الفجر ٩.

وأرادوا الانتقام منه.. ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (الشعراء ١٤١ ـ ١٥٣)

* * *

(٣) قوم ثمود والناقة

وطلب قوم ثمود من صالح عليه السلام آية، وحددوا هذه الآية فقالوا: يا صالح ادع ربك أن يخرج لنا من هذه الصخرة ناقة من صفتها كذا وكذا.

وحددوا له أوصاف تلك الناقة ومكان خروجها.

فقال لهم صالح عليه السلام: أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم على الوجه الذى طلبتم أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقونى فيما أرسلت به؟.

قالوا: نعم.

فقام صالح عليه السلام إلى مصلاه، فصلى لله ودعاه أن يجيبهم إلى ما طلبوا، فأمر الله عز وجل الصخرة التى أشاروا إليها أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء على الوجه الذى طلبوه فكانت تلك الناقة آية معجزة، فآمن بعضهم وكفر الكثير منهم.

وقال لهم نبيهم عليه السلام: ﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾(١).

ثم حدد لهم الله أمر الناقة: ﴿هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(٢).

فالناقة ترعى فى أرضهم كيف تشاء وتشرب من ماء الآبار يومها، ولا

(١) سورة هود ٦٤. (٢) سورة الشعراء ١٥٥ ـ ١٥٦.

يقربوا هم هذا الماء ذلك اليوم﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾، فكانت تشرب الماء يومها ويشربون هم من لبنها فى اليوم التالى، فالماء الذى تشربه فى يومها يتحول بقدرة الله إلى لبن خالص سائغ للشاربين، إنها آية عظيمة من الله لهم واختبار أيضا لهم هل يؤمنون بالله ويتركون عبادة الأوثان أم يكفرون به ويستمرون فى غيهم وطغيانهم وكفرهم؟!. ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾(١).

وطال عليهم الأمد، ولم يؤمنوا وظلوا على كفرهم وعتوهم إلا قليل منهم، بل وتآمروا على عقر الناقة.

وذكر أهل التفسير أن امرأتين من ثمود إحداهما اسمها «صدوق» والأخرى تسمى «هنيزة» وكانت الأولى ذات مال وجمال وقد أسلم زوجها ففارقته، ودعت ابن عمها «مصدع بن مهرج» وعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة.

والمرأة الأخرى كانت عجوزاً شمطاء كافرة لها بنات فعرضت على «قدار بن سالف» إن هو عقر الناقة يختار منهن من يشاء.

وقام الشابان «مصدع» «وقدار» ومعهما سبعة آخرون استجابوا لهما فرصدوا الناقة، فرماها «مصدع» بسهم فانتظم فى عظم ساقها، وابتدرها «قدار بن سالف» فشد عليها بسيفه فكشف عن عروقها فخرت ساقطة إلى الأرض، ورغت رغاة واحدة. كى تحذر ولدها، ثم طعنها فى لبتها فنحرها وانطلق فصيلها ـ ابنها ـ هارباً إلى الجبل بعد أن عقرت أمه. وهو يقول: يارب أمى.(٢)

---

(١) سورة القمر ٢٧.

(٢) انظرتفسير الطبرى وابن كثير والآلوسى وقصص الأنبياء لابن كثير وغيرهم.. وقال القرطبى إن هذه الناقة هى التى تخرج آخر الزمان. (الدابة التى تكلم الناس) من علامات الساعة.

وخرجت نساء قوم ثمود وقد حسرن عن وجوههن ويزغردن فرحات بفعل هؤلاء التسعة الأشقياء.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾

(سورة النمل ٤٨ ـ ٤٩)

* * *

(٤) هلاك قوم ثمود

وقال لهم صالح عليه السلام بعد أن عقر الناقة:

﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾(١).

وانتظر قوم ثمود عقاب الله وبطشه بهم ثلاثة أيام، وأعطاهم ثلاث علامات، ففى اليوم الأول، أصبحت وجوههم مصفرة، وفى اليوم الثانى كانت وجوههم محمرة، وفى اليوم الثالث أصبحت وجوههم مسودة.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: إنه تعالى لما أمهلهم تلك الأيام الثلاثة فقد رغبهم فى الإيمان، وذلك لأنهم لما عقروا الناقة أنذرهم صالح بنزول العذاب(٢).

وفى مساء اليوم الثالث وقد اسودت وجوههم نادوا ألا قد مضى الأجل، فلما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت أرواحهم وهلكوا فى الحال وأصبحوا فى ديارهم جاثمين، أى جثثا بلا حركة لا روح فيها كأن لم يغنوا فيها.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (الأعراف: ٧٨).

---

(١) سورة هود ٦٥.

(٢) تفسير الفخر الرازى.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (فصلت: ١٧).

وهكذا هلكوا وصرعوا بالصاعقة والرجفة والصيحة من فوقهم فزهقت أرواحهم من فورهم، ومر عليهم صالح عليه السلام وقد أصابهم عذاب الله فى الدنيا، ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾(١).

ولا تزال آثارهم باقية شاهدة عليهم «بوادى عسفان» شمال الجزيرة العربية مع الحدود السعودية الأردنية.

وقد مر عليهم رسولنا ﷺ فى ذهابه إلى غزوة تبوك كما جاء فى مسند الإمام أحمد وذكره ابن كثير بإسناد حسن فى البداية والنهاية.

إنها النهاية الطبيعية الإلهية للقوم الظالمين وهى من الظالمين الجدد ليست ببعيد.

فإن الذى أهلك عادا الأولى وثمود وغيرهما قادر على إهلاك عاد الجديدة بالصاعقة والرجفة والصيحة.

(١) سورة الأعراف: ٧٩.

(٥) قوم عاد الأولى

فى المنطقة الواقعة بين عمان وحضرموت جنوب الجزيرة العربية فى منطقة الأحقاف حيث جبال الرمل المتحركة، عاشت قبيلة «عاد» قبل قوم ثمود.

وقد غمرهم الله بالنعم الكثيرة، فى الجسم ووفرة الأموال وطول العمر، إلا أنهم جحدوا آيات الله وعصوا رسل ربهم وعبدوا الأصنام من دون الله، عبدوا ثلاثة أصنام هى «صمداً وصمودا وهرا»[١].

أرسل الله إليهم رجلاً منهم هوداً عليه السلام فدعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد وترك عبادة الأصنام.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ٦٥).

وكان جوابهم كما حكى القرآن الكريم:

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير. والمنطقة التى كانوا يعيشون فيها تسمى «الربع الخالى» بالسعودية.

كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الأعراف: ٦٦ ـ ٧٠).

وأصرت «قبيلة عاد» على رفضهم لدعوة أخيهم هود، وقالوا له: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (١).

* * *

(١) الشعراء: ١٣٦ ـ ١٣٨.

(٦) هلاك قوم عاد

مع إصرارهم على الكفر وعنادهم أمسك الله عنهم القطر ثلاث سنوات فلم تمطر السماء حتى أجهدهم ذلك، فبعثوا وفداً منهم قرابة السبعين رجلاً إلى الكعبة المشرفة كى يستسقوا الله عندها وتلك عادة العرب حين يشتد بهم البلاء.

ومر الوفد بسيد مكة وقتها وهو معاوية بن بكر فأقاموا عنده قرابة الشهر ثم توجهوا إلى البيت العتيق ودعوا الله أن ينزل عليهم المطر، فأنشأ الله سحابات ثلاثة بيضاء وحمراء وسوداء.

ونادى منادٍ من السماء، اختر لنفسك ولقومك من هذه السحب.

وكان زعيم الوفد يقال له «ابن عنز»، فقال: اخترت السحابة السوداء، فإنها أكثر السحاب مطراً.

فناداه المنادى: اخترت رماداً رمدداً، لا تبقى من عاد أحداً، لا والداً تترك ولا ولداً إلا جعلته همداً.

وبالفعل ساق الله السحابة السوداء إلى قوم عاد، فلما رأوها استبشروا أخيراً وقالوا: هذا عارض ممطرنا.

فكان هلاكهم ومصارعهم فى تلك السحابة السوداء التى حملت الريح العقيم المدمرة الساحقة، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم.

وكانت أول من رأى العذاب امرأة يقال لها «فهد»، صاحت صيحة ثم صعقت، فلما أفاقت قالوا لها:

ما رأيت يا فهد؟.

قالت: رأيت ريحاً فيها كشهب النار أمامها رجال يقودنها.

وسخر الله عليهم الريح العقيم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، فأهلكتهم إلا نبى الله هود والذين آمنوا معه.

وكانت حضارة «عاد» من الحضارات التى لم يشهد التاريخ القديم والمعاصر كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾ (الفجر: ٦ - ٨).

وكان قوم عاد يبنون البيوت العالية الشاهقة على الجبال المرتفعة وهى ما نسميه اليوم ناطحات السحاب ويتخذون الحصون المشيدة، وكانوا قوماً جبارين قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝١٢٩ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ (سورة الشعراء: ١٢٨ - ١٣٠).

وهكذا كان هلاكهم ومصرعهم بريح صرصر عاتية، ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ (سورة الحاقة: ٦ - ٨).

إنها عادٍ الأولى وبقيت أخريات سوف تلحق بها إن شاء الله تعالى.

(٧) قوم شعيب

فى بلاد الشام كانت أرض مدين قوم شعيب عليه السلام، عاشوا على التجارة وقطع طريق التجارة على القوافل وأخذ الضرائب منها، فكانوا أسوأ الناس معاملة، يبخسون المكيال ويطففون وينهبون الأموال، ويشركون فى عبادة الله عز وجل.

فأرسل الله إليهم أخاهم شعيبا عليه السلام، فدعاهم إلى عبادة الله، والوفاء فى المكيال والميزان وألا يبخسوا الناس أشياءهم وألا يقطعوا عليهم الطريق إلا أنهم عصوا أمر ربهم ورفضوا الانصياع لما جاءهم به نبيهم.

ولأن شعيب عليه السلام كان خطيباً مفوهاً ذا منطق وبيان فقد جادلهم وأكثر من جدالهم لعلهم يرجعون عن كفرهم وطغيانهم كما ذكر لنا القرآن الكريم:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا

الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ (سورة هود: ٨٤ ـ ٩٣).

* * *

(٨) مصارع قوم شعيب

رفض قوم مدين دعوة أخيهم نبى الله ورسوله شعيب عليه السلام، وقالوا: لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون.

ثم قالوا له: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

وهكذا كان رد قوم مدين مثل سابقيهم من الأقوام الآخرين قوم عاد وثمود ولوط وغيرهم، فكان جزاؤهم أن انتقم الله منهم وأهلكهم؛ فجمع عليهم أنواعاً شتى من العذاب.

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة الشعراء: ١٨٩).

وقال أيضاً: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (سورة الأعراف: ٩١).

وقال أيضاً: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (سورة هود: ٩٤).

قال ابن كثير: وقد جمع الله عليهم أنواعاً من العقوبات وصنوفاً من المثلات وأشكالاً من البليات، وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات، سلط الله عليهم الرجفة الشديدة أسكنت الحركات، وصيحة عظيمة أخمدت

الأصوات، وظلة أرسل عليهم فيها شرر النار من سائر أرجائها والجهات(١).

لقد حبس عنهم الهواء سبعة أيام، فهربوا وخرجوا إلى الطرقات كى تحميهم آلهتهم وهى الأيكة وكانت شجرة يستظلون بها ويعبدونها، فأرسل الله إليهم سحابة أظلتهم، فأسرعوا إليها ظناً منهم أنها جاءت بالخير فإذا هى العذاب الأليم فأمطرتهم النار وجاءتهم الصيحة بعد أن احتموا فى بيوتهم فهلكوا جميعاً إلا نبى الله شعيب والذين آمنوا معه(٢).

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة الأعراف: ٩٢).

وبعد هلاكهم نظر إليهم نبى الله شعيب عليه السلام متحسراً وموبخاً لهم وقد أصبحوا جثثاً هامدة لا حراك فيها.

﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (سورة الأعراف: ٩٣).

وهكذا كان مصير الغشاشين والمطففين وقطاع الطريق ومن أكل أموال الناس بالباطل، ومن يبخس الناس أشياءهم يشتريها منهم بأقل من سعرها ويستغل حاجتهم إلى يوم القيامة.

* * *

(١) قصص الأنبياء لابن كثير.

(٢) والصيحة هى الصوت الشديد جداً صاحها جبريل عليه السلام فخرجت بها أرواحهم من أجسادهم.

(٩) قوم نوح عليه السلام

نبى الله نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه كى يدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد بعد أن عكفوا على عبادة الأصنام.

ولم يكن قبله رسول أرسله الله إلى قوم فقد كان بين نوح عليه السلام وآدم عليه السلام عشرة قرون كلها على التوحيد، حتى عبد قومه أصناماً لرجال صالحين هم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (سورة نوح: ٢٣).

قال أهل التفسير هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فنشأ بعدهم قوم يقتدون بهم فى العبادة، فقال لهم إبليس: لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة.

ففعلوا ما أمرهم به الشيطان، ثم نشأ قوم من بعدهم، ثم قال لهم إبليس إن الذين كان قبلكم كانوا يعبدونهم فاعبدوهم.

فكانت تلك بداية عبادة الأصنام والأوثان على الأرض.

وسميت تلك الصور والتماثيل بأسمائهم، حتى أرسل الله إليهم نوحاً عليه السلام.

وظل نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً فما آمن له إلا قليل من قومه: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ

مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(١).

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾(٢).

وأخبر الله عز وجل رسوله نوحا عليه السلام أنه لن يؤمن له من قومه إلا من قد آمن له، فقد كان أهل الكفر من قومه يوصون أولادهم بعدم اتباع نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (سورة هود: ٣٦).

ثم جاء الأمر الإلهى لنوح عليه السلام بصناعة السفينة كى يحمل فيها كل من آمن معه وما أمره الله أن يحمله معه من حيوانات وطيور، ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ (سورة هود: ٣٧).

ولما كان قوم نوح يسكنون أرضاً ليس بها بحار أو أنهار ولم تكن صناعة السفن معلومة لديهم وأوحى الله كيفية صناعتها.

فلما رآه قومه يصنع تلك السفينة العجيبة سخروا منه وقالوا له: يا نوح لقد صرت نجاراً بعد أن كنت نبياً!!

قال أهل التفسير: إنهم لما رأوه يبنى السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت قالوا: -

يا نوح ما تصنع؟.

قال: أبنى بيتاً على الماء.

فعجبوا من قوله وسخروا منه.

فقال لهم: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾(٣) (سورة هود: ٣٨).

---

(١) سورة هود: ٣٢.

(٢) سورة هود: ٣٣.

(٣) انظر تفسير روح المعانى والماوردى ومفاتيح الغيب وتفسير ابن كثير وغيرهم.

والذى نعلمه أنه كانت فى السعة بحيث تتسع للمؤمنين من قومه، ولما يحتاجون إليه ولحصول زوجين من كل حيوان، لأن هذا القدر مذكور فى القرآن، فأما غير ذلك القدر فغير مذكور.

وهكذا أتم نوح عليه السلام صناعة السفينة كما أمره الله تعالى، وليس فى صحيح السنة النبوية أى اشارة إلى طول السفية وعرضها وارتفاعها أو الخشب الذى صنعت منه ولا المدة التى استغرقتها صناعتها.

وانتظر نوح عليه السلام الأمر الإلهى له بركوب السفينة هو ومن معه من المؤمنين.

* * *

(١٠) مصارع قوم نوح

كان هلاك قوم نوح عليه السلام بالطوفان.

وقد أعطى الله رسوله نوحاً عليه السلام علامة تدل على بدء الطوفان كى يركب السفينة هو وأهله ومن معه وتبعه وآمن معه من قومه، وكانت العلامة هى نبع الماء وتدفقه من التنور الذى يخبزون فيه.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: التنور وجه الأرض قيل له إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن معك.(١)

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾(٢)

وكان نوح عليه السلام حين يئس من دعوته قومه واستجابتهم له وعلم من الله عز وجل أنه لن يؤمن له إلا من قد آمن دعا عليهم كما حكى رب العزة فى قرآنه الكريم: ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾(٣)

ولما جاء أمر الله وفار التنور، وفتحت السماء بماء منهمر وتفجرت الأرض عيوناً، صعد نوح عليه السلام وكل من آمن معه وأهله وحمل معه من كل المخلوقات الأخرى زوجين اثنين فدخلوا فيها وقال نوح عليه السلام: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا

(١) انظر فتح القدير للشوكانى.

(٢) سورة هود (٤). (٣) سورة نوح ٢٦ - ٢٧.

بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة هود ٤١).

وجاء وعد الله الحق وانتقامه من القوم الكافرين جزاءً وفاقاً، فقد تعجلوا عذاب الله حين قالوا لنبيهم نوح: ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة هود ٣٢).

وانتصر الله لنبيه نوح على طغيان الكفر والشرك بالله، فكان الطوفان المدمر لكل شىء على وجه الأرض بأمر الله؛ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ (سورة القمر ١١ ـ ١٤).

ولم يركب السفينة مع نوح عليه السلام من أهله زوجته وكانت كافرة تشارك قومها كفرهم وعدم إيمانهم برسالة نبى الله نوح، وكذلك أحد أبناء نوح عليه السلام وهو كنعان الذى رفض الانصياع لأمر أبيه بالصعود معه فى السفينة.

وارتفعت السفينة فوق ماء الطوفان ونجى الله نوحاً ومن معه، وغرق قوم نوح وهلكوا جميعاً.

ثم أمر الله تعالى الماء أن تبتلعه باطن الأرض وأن تمسك السماء عن المطر المنهمر. ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة هود ٤٤).

وهبط نوح عليه السلام ومن معه من السفينة بسلام وبركات من الله بعد هلاك القوم الكافرين.. ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة هود ٤٨).

ثم جعل الله ذرية آدم عليه السلام بعد الطوفان من ذرية نوح عليه السلام من أولاده الثلاثة سام وحام ويافث، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (سورة الصافات ٧٧).

ولذلك فقد أطلق المفسرون والمؤرخون على نوح عليه السلام «آدم الثانى»، لأن كل البشر على الأرض من نسبه وذريته.

(١١) مصرع وهلاك
ابن نوح فى الطوفان

لما ركب نوح عليه السلام ومن آمن معه السفينة وأهله كما أمره الله تعالى، رفض ابنه الرابع ويدعى «كنعان» الركوب معه، ورأى نوح ابنه خارج السفينة وقد بدأ الطوفان يغرق الأرض، فنادى عليه نوح طمعاً فى سلامته ونجاته منالغرق فقال له: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾(١).

وقال بعض أهل التفسير إن هذا الابن كان يظهر الإيمان بالله ويبطن الكفر، فظن نوح أنه لم يسمع النداء بركوب السفينة ولذلك قال له اركب معنا ولا تكن مع الكافرين.

لكن الابن رد على أبيه قائلا: ﴿سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾(٢)

فقال له نوح: ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ﴾(٣)

وأصر الابن الكافر على رأيه واعتقاده رغم ما رآه من الطوفان الجارف لكل شىء، والتجأ إلى جبل شاهق العلو والارتفاع، ظناً منه أنه ينجيه من الطوفان والغرق، وحال بينه وبين أبيه الموج المتلاطم.

وارتفع الطوفان أعلى من كل الجبال فكان مصير هذا الابن هو الغرق

(١) سورة هود ٤٢، قال الشوكانى عن ابن نوح كنعان: كان منافقاً فظن أنه مؤمن، انظر فتح القدير.
(٢) سورة هود (٤٣). (٣) سورة هود ٤٣. (٤) سورة هود ٤٣.

مع غيره من القوم الكافرين ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾(٤).

لكن عاطفة الأب وشفقته على ابنه دعته إلى اللجوء إلى الله بالدعاء فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾(١).

لكن الأنساب لا تنفع بغير الإيمان، ولا تنفع شفاعة الشافعين حتى ولو كانت تلك الشفاعة من نبى ورسول كريم.

وكما قال الفخر الرازى فى تفسيره: إن قرابة النسب لا تفيد إذا لم تحصل قرابة الدين. وكما قال ﷺ: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه».(٢)

وكان نوح يظن أن ابنه وهو من أهله قد دخل فى وعد الله له بنجاتهم أجمعين، لكن رد الله عليه قطع ذلك الظن.

﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(٣).

فجاء هذا التحذير الإلهى لنوح عليه السلام إفاقة وتبيهاً لمفهوم قد اعتراه فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٤)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن قوله تعالى لنوح ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ كما قال المفسرون ليس إشارة إلى أنه أى الابن الكافر ولد زنا وإنما ذلك إشارة إلى أنه الابن العاق ولد غير صالح وهذا أمر يحدث كثيرا أن يخرج من ظهر العابد كافر وبالعكس، فالإيمان لا يورث. مثل الكفر تماما.

(١) سورة هود ٤٥.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه.

(٣) سورة هود ٤٦.

(٤) سورة هود ٤٧.

(١٢) قوم لوط عليه السلام

عند البحر الميت وبمدينة سدوم وما حولها من القرى بالشام سكن قوم لوط وعاشوا، وكانوا أفجر الناس وأكفرهم بالله، فكانت سيرتهم سيئة، يقطعون السبيل ويفعلون المنكر فى أنديتهم علانية، ويأتون الرجال شهوة من دون النساء وتلك الفاحشة النكراء هم أول من ارتكبوها من البشر.

أرسل الله إليهم لوطاً عليه السلام وهو ابن أخ نبى الله ورسوله إبراهيم عليه السلام، فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك ما يفعلون من المنكرات والفاحشة، إلا أنهم تمادوا فى ضلالهم وطغيانهم وفجورهم.

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾

(سورة النمل ٥٤ ـ ٥٥ ـ ٥٦)

لقد كان اتهامهم للوط وآله انهم يتطهرون ولا يفعلون الفاحشة والمنكر، وذلك دليل على أن قوم لوط كلهم كانوا يفعلون الفاحشة وخاصة إتيان الذكران من العالمين ولذلك لم يؤمن له أحد من قومه. قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ

أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ (سورة الشعراء ١٦٠ ـ ١٦٧)

قال ابن عباس رضى الله عنهما: عشر خصال من أعمال قوم لوط: تصفيف الشعر، وحل الإزار، ورمى البندق، والخذف بالجص،واللعب بالحمام الطيارة، والصفير بالأصابع، وقرقعة الأكعب، وإسبال الإزار، وحل أزر الأقبية، وإدمان شرب الخمر، وإتيان الذكور، وتزيد عليها هذه الأمة مساحقة النساء للنساء»(١).

وذكر الذهبى فى الكبائر أن اللعب بالنرد «الطاولة» والمسابقة بالحمام والمهارشة بالكلاب والمناطحة بين الكباش(٢) والمناقرة بالديوك ودخول الحمام بلا مئزر ونقص الكيل والميزان كلها من أفعال قوم لوط.

وقال مكحول: توجد هذه الأمور فى بعض عصاة أمة محمد ﷺ مثل مضغ العلك (اللبان) وتطريف الأصابع بالحناء وحل الإزار وفرقعة الأصابع ولف العمامة بشكل يدعو إلى الميوعة والتخنث والصفير واللوطية(٣).

والأحاديث النبوية فى النهى عن هذه الأفعال كثيرة ذكرها الكثير من العلماء وخاصة الذهبى فى الكبائر.

قال ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتى، عمل قوم لوط»(٤).

وقال أيضاً: «يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن

(١) ذكره الذهبى فى الكبائر.

(٢) الكباش جمع كبش وهو ذكر الماعز والمسابقة بالكباش أحد مسابقات الجاهلية يقوم بها الناس حتى الآن.

(٣) انظر تفسير القرطبى لسورة العنكبوت.

(٤) أخرجه أحمد فى المسند والترمذى والحاكم، حديث صحيح.

تدركوهن: لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما فى أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[١].

وذكر الذهبى فى الكبائر أنه إذا ركب الذكر الذكر اهتز عرش الرحمن خوفاً من غضب الله تعالى وتكاد السموات تقع على الأرض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ: «قل هو الله أحد» إلى آخرها حتى يسكن غضب الله عز وجل.

* * *

(١) رواه ابن ماجه وأبو نعيم فى حلية الأولياء والحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى وحسنه الألبانى.

(١٣، ١٤) مصارع وهلاك قوم لوط وزوجته

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(١). هكذا وصف الله عز وجل حال قوم لوط قبل إنزال العقاب الإلهى بهم وهلاكهم.

فقد أصر القوم الفاسقون على أفعالهم المشينة ولم يؤمن مع لوط عليه السلام من قومه أحد، وبعد أن أقام لوط الحجة على قومه، حان وقت العقاب فى الدنيا، فالله عز وجل لا يأخذ الظالمين إلا بعد إقامة الحجة عليهم.

وجاءت الملائكة إلى لوط عليه السلام فى هيئة شباب حسان الوجوه، ولوط عليه السلام لا يعرفهم، فقد جاءوا إليه ضيوفا ولكن أهل القرية علموا أمرهم فجاءوا إلى بيت لوط مطالبين إياه أن يترك لهم ضيوفه كى يفعلوا بهم الفاحشة، وردهم لوط وقال لهم: ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ﴾(٢).

قالوا: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾(٣).

قال:﴿هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

فلم يصغوا إليه واستمروا فى طلبهم وأرادوا أخذ الضيوف بالقوة، حتى

(١) سورة الحجر: ٧٢.

(٢) سورة الحجر: ٦٨ ـ ٦٩.

(٣) سورة الحجر: ٧٠.

ضاق بهم لوط عليه السلام وقال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: ٨٠).

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (سورة هود: ٧٧ ـ ٨٠).

وقول لوط عليه السلام لقومه: ﴿هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ ليس عرض بناته الصلبيات على قومه كى يفعلوا بهم الفاحشة وإنما هو عرض بنات القرية وهن زوجاتهن لأن كل نبى أرسل إلى قوم فأولادهم أبناؤه ونساؤهم بناته مجازاً، وذلك كان جواب قومه له: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾.. وهذا هو قول المفسرين ويدل عليه سياق الآيات التى ذكرناها.

ولما ضاق لوط عليه السلام بقومه وأفعالهم وطال الجدال بينه وبينهم حول الضيوف أعلن الملائكة عن أنفسهم له، فقالوا له: ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾(١).

وهكذا اقتربت النهاية المحتومة لهؤلاء الفاسقين الفجار، وأعمى الله أبصارهم وعادوا من حيث أتوا وهم خاسئين تنتظرهم نهاية أليمة قرب الصبح.

وقبل الصبح ضرب جبريل عليه السلام بجناحه على وجوه القوم فطمس أعينهم وأعمى أبصارهم فخرجوا من عند لوط عليه السلام عمينا وهم يتحسسون ويتهددونه قائلاً: ستعلم ما يحل بك غداً.

ومرت الساعات القليلة واقترب مجئ الصبح الذى هو موعدهم، وخرج لوط عليه السلام ومعه ابنتاه وامرأته مسرعين إلى خارج القرية، واقتلع جبريل عليه السلام

(١) سورة الحجر: ٨١.

أرضهم على جناحه ورفع القرية بما فيها وما عليها إلى السماء حتى إن الملائكة قد سمعت صياح ديكتهم ونباح كلابهم. ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأُتبعوا بحجارة من سجيل مسومة أمطرتهم فانتهت آثارهم إلى غير رجعة.

قال تعالى:﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (سورة هود: ٨٢ - ٨٣). وهذا جزاء من يفعل فعل قوم لوط.

وهذا معنى قوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

فقد ذهب أبو حنيفة رحمة الله إلى أن يلقى من يفعل فعلتهم من شاهق جبل ويتبع بالحجارة، ورأى بعض الصحابة منهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن يحرق بالنار من يفعل فعل قوم لوط(١).

وأما عن نهاية زوجة لوط عليه السلام فقد أصابها ما أصاب قومها من الهلاك كما أخبر الملائكة لوطا عليه السلام.

قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (سورة هود ٨١).

وقال أيضاً: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (سورة التحريم: ١٠).

وهكذا اتبعت امرأة لوط خطى امرأة نوح من الكفر بما جاء به رسل الله واتباع ضلال قومها فلحقت بها غير مأسوف عليهما والعاقبة الحسنى للمتقين.

(١) ذكره ابن أبى الدنيا والبيهقى والخبر مرسل.

(١٥) مصرع ونهاية النمرود

النمرود بن كنعان ملك العراق زمن نبى الله وخليله إبراهيم عليه السلام، كان أحد ملوك الدنيا الأربعةالذى ملكوا الدنيا وهم ذو القرنين وسليمان بن داود وبختنصر والنمرود، مؤمنان وكافران(١).

ويرجع نسب النمرود إلى سام بن نوح وأنه استمر فى ملكه أربعمائة سنة حتى طغا واستكبر واعتقد أنه إله!!

وذكر القرطبى فى تفسيره أن النمرود رأى فى منامه كأن كوكباً طلع فى السماء فذهب ضوء الشمس حتى لم يبق لها ضوء، ففزع من ذلك فزعاً شديداً، ودعا الكهنة والمنجمين والمعبرين لتأويل تلك الرؤية وذلك المنام، فقالوا له: سيولد ناحيتك هذا العام غلام يكون هلاكك على يديه.

فأمر النمرود بذبح كل غلام يولد فى ذلك العام بتلك البلدة التى يعيش بها، ولكن إرادة الله فوق كل شىء، فقد حملت زوجة آزر ولما أقترب وقت ولادتها خرجت هارية، ووضعت ولدها إبراهيم عليه السلام ونجا من مذبحة النمرود لأقرانه.

ونشأ إبراهيم منذ نعومة أظافره على التوحيد الفطرى فقد ذكر القرطبى أن إبراهيم قال لأمه: من ربى؟

قالت: أنا.

(١) ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية عن مجاهد وغيره وكان الخامس هو المهدى المنتظر آخر الزمان سوف يملك الأرض أيضاً.

قال: ومن ربك؟

قالت أبوك.

قال: ومن رب أبى؟

قالت: النمرود.

قال: ومن رب النمرود؟

فلم تستطع أمه الإجابة عليه ولطمته، وعلمت أنه الذى يذهب بملك النمرود كما قال المفسرون حين فسروا له حلمه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٥١).

ولما شب إبراهيم عليه السلام وبلغ مبلغ الرجال حاور أباه آزر وكان صانعاً للتماثيل التى يعبدها القوم من دون الله قال تعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (سورة مريم: ٤١ ـ ٤٨).

ومع إصرار آزر على شركه وكفره توجه إبراهيم لدعوة قومه إلى عبادة الله.

فلم يجد منهم أى استجابة، فقام بالكيد لهم وتوجه إلى أصنامهم يوم عيد لهم، فكسرها، فما كان من قومه إلا أن أمروا بحرقة وجمعوا له الحطب والخشب وأضرموا النيران فيها ثم ألقوه فيها، لكن الله القادر أنجاه منها

ونصره وخرج من النار سالماً.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٥١ - ٧٠).

وأمر النمرود بإحضار إبراهيم عليه السلام بعد أن خرج سالماً من النار وناظره كما ذكر لنا القرآن الكريم فسأل إبراهيم عن ربه فقال له إبراهيم: «ربى الذى يحيى ويميت فقال ذلك الملك المغرور الكافر: أنا أحيى وأميت.

وظن النمرود أنه إذا عفا عن محكوم عليه بالقتل فهذا إحياء وإذا نفذ حكم القتل فى المحكوم عليه فقد أماته. ولم يجادله إبراهيم عليه السلام فى فهمه الخاطئ وكان النمرود قد أتى برجلين محكوم عليهما بالقتل، فقتل أحدهما وترك الآخر وقال أنا أحيى وأميت.

وهنا قال إبراهيم عليه السلام: فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب.

فبهت النمرود الكافر ولم يرد ولم ينطق حرفاً وأسقط فى يده، وأطلق النمرود سراح إبراهيم عليه السلام سالماً وقد قوى أمره واشتد عوده وعظم شأنه.

وأما النمرود بن كنعان فكما ذكر أهل التفسير والتاريخ أن الله بعث إليه ملكاً يدعوه إلى الإيمان بالله ويتركه على ملكه فأبى عليه وذلك ثلاث مرات ثم قال له: اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام.

فجمع الجبار جموعه فأمر الله الملك ففتح عليه باباً من البعوض وطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها، فبعثها الله عليهم فأكلت شحومهم وشربت دماءهم فلم يبق إلا العظام، وبعث الله بعوضة على النمرود فدخلت منخره فمكث سنوات يضرب رأسه بالمطارق وقيل بالنعال من شدة ما يلاقيه من ألم وعذاب وظل هكذا يعذب حتى هلك وقيل ظل هكذا أربعمائة عام(١).

وهكذا كانت نهاية النمرود ملك بابل المتأله، بواسطة باعوضة هى أضعف خلق الله، لكى يعتبر من سيأتى بعده وآية للمؤمنين فى كل زمان إلى يوم القيامة.

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير وتاريخ الطبرى وفتح القدير للشوكانى.

(١٦) موسى وبنو إسرائيل
(١٧) ونهاية الفرعون المصرى

يُطلق عليه فرعون موسى عليه السلام لأنه عاصره وكانت نهايته على يديه.

فقد كان فرعون لقبا يطلق على حاكم مصر أيام الفراعنة القدماء.

رأى هذا الملك الفرعون رؤيا كالتى رآها النمرود ملك بابل، رأى فى منامه كأن ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتعلت على ديار مصر فأحرقتها إلا بيوت بنى إسرائيل الذين كانوا يسكنون مصر منذ أيام يوسف عليه السلام.

ودعا الفرعون الكهنة والمعبرين للرؤى فقالوا له إن غلاماً من بنى إسرائيل سوف يسلبك ملكك وتكون نهايتك على يديه.

وأمر فرعون جنوده وأتباعه أن يحصروا كل النساء الحوامل من بنى إسرائيل ويقتلوا كل مولود ذكر يولد لهن حتى إنه ذبح فى سبيل ذلك تسعين ألف وليد.

ولما اشتكى أهل مصر لفرعون من خشية انقراض بنى إسرائيل وكانوا يقومون بالأعمال الدنيا الشاقة لهم، خفف أوامره فجعل قتل الذكور عاماً دون عام.

وشاءت إرادة الله أن يولد موسى عليه السلام فى العام الذى يقتل فيه الذكور، ولم تظهر على أمه مظاهر الحمل، فلم يدرك القوابل اللاتى كن يفتشن بأمر فرعون عن الحوامل من بنى إسرائيل أمرها.

ووضعت الأم ولدها، وأوحى الله إليها إلهاماً أن ترضعه فإذا خافت عليه من جنود فرعون فعليها أن تضعه فى صندوق خشبى وتلقيه فى النهر..

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (سورة القصص: ٧).

وكان وعد الله حقاً وصدقاً بأن يرده إليها وأن يجعله من المرسلين.

فقد فعلت أم موسى ما أوحى الله إليها به وألقت به فى اليم واستقر به المقام فى قصر الفرعون نفسه كى يتربى فى قصره وتحت بصره.

فقد ألقى الله محبته على كل من يراه ولا يكرهه. ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (سورة طه: ٣٩).

وعاد موسى إلى أمه كى ترضعه وتأخذ على ذلك المال الوفير من فرعون وزوجته.

فلما شب موسى عليه السلام وقد رزقه الله بسطة فى الجسم والعلم، ثم حدث له ما حدث من قتله المصرى الذى كان يتشاجر مع رجل من قومه بنى إسرائيل، وعلم فرعون بأمر موسى عليه السلام، فهرب موسى إلى خارج الحدود المصرية حيث «مدين» وتزوج هناك من ابنة الرجل الصالح وعاش بها عشر سنوات، ثم عاد إلى مصر.

وفى الطريق عند جبل الطور كلمه الله وبعثه إلى فرعون الطاغية برسالة أن يرسل معه بنى إسرائيل ويخرج بهم من مصر وأيده الله بأخيه هارون وزيراً نبياً، وأيده بمعجزة اليد والعصا.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ﴾ (سورة طه: ١٧ ـ ٢٣).

وأمر الله موسى عليه السلام وأخاه هارون أن يقولا لفرعون قولاً ليناً لا غلظة فيه لعله يهتدى أو يخشى الله.

قال تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ (سورة طه ٤٣ ـ ٤٦).

وذهب موسى وأخوه هارون عليهما السلام إلى فرعون بما أمرهما الله به: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ (سورة طه: ٤٧ ـ ٤٨).

فماذا أجاب فرعون موسى وهارون؟

أجابهما كما يجيب الطغاة والمتكبرون قديماً وحديثاً، بالجدال والاستكار والاستهزاء والرفض فى النهاية فقال:

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾؟

قال موسى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

قال فرعون له: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾؟

يسأل فرعون من الأمم السابقة عليه وكانت على عبادة الأوثان والأصنام.

قال موسى له: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

ولما فشل فرعون فى جدال موسى عليه السلام قام بتهديده وتذكيره بنعمه عليه:

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

قال موسى له: ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ

بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

قال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

قال: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾

﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ﴾.

واستمر موسى فى كلامه ودعوته: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾.

قال فرعون لمن حوله متهكماً ساخراً:

﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

ولم يتوقف موسى عليه السلام ولم يرهب قول فرعون، واستمر فى دعوته:

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

قال فرعون متوعداً مهدداً له:

﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾.

قال موسى له: ﴿أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾(١).

﴿قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾

وتمادى فرعون فى طغيانه وغيه وضلاله وادعائه الألوهية، وجاء بكل ساحر عليم بالسحر من المدن والقرى لمواجهة موسى عليه السلام ظناً منه أن موسى

(١) الآيات والقصة فى سورة الشعراء.

ساحر عليم وأخذ بمشورة من حوله بمواجهته بالسحرة.

وجاء السحرة بحبالهم وعصيهم لمواجهة موسى على وعد من فرعون بالجائزة الكبرى والقربى منه ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (سورة الشعراء: ٤١ - ٤٢).

وألقى السحرة عصيهم وحبالهم فخيل لموسى والناس أنها حيات تسعى.

فلما ألقى موسى عصاه انقلبت بقدرة الله ثعباناً عظيماً التقم كل ما ألقاه السحرة، وعندما أدرك السحرة أن موسى ليس ساحراً مثلهم وإنما هو نبي مؤيد من الله وأن ما معه معجزة فآمنوا كلهم أجمعون.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ (سورة طه: ٦٥ - ٦٩).

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ (سورة الشعراء: ٤٦ - ٤٨).

واغتاظ فرعون وجن جنونه من إسلام السحرة فقال لهم: ﴿آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الشعراء: ٤٩ - ٥١).

ولم يرهبهم تهديد فرعون ووعيده وثبتوا على إيمانهم، فقتلهم فرعون وصلبهم على جزوع النخل، فكانوا سحرة أول النهار وشهداء آخره.

وأما فرعون فقد ظل على كفره وعناده بعد أن رأى الآيات الباهرات، فدعا عليه موسى عليه السلام وعلى قوم فرعون ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ

وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ (سورة يونس: ٨٨).

وقد استجاب الله دعاءه ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (يونس: ٨٩).

وأمر الله تعالى رسوله موسى عليه السلام أن يخرج بقومه بنى إسرائيل ويسير بهم ليلاً خارج أرض مصر عن طريق أرض سيناء؛ ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ (سورة الدخان: ٢٣).

وبالفعل جمع موسى عليه السلام بنى إسرائيل وسار بهم نحو أرض سيناء هرباً من فرعون وجنوده.

ولكن فرعون علم بخطة موسى فى الهرب ببنى إسرائيل فأتبعهم بجيشه ولحق بهم عند ساحل البحر.

فلما رأى بنو إسرائيل فرعون وجنوده خلفهم والبحر أمامهم قالوا لموسى: إنا لمدركون لكن موسى الواثق من ربه قال لهم:

كلا إن معى ربى سيهدين.

فأوحى الله إلى موسى أن يضرب بعصاه البحر، وبالفعل ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق البحر وصار على أرض يابسة طريقاً ممهداً كى يعبر من خلاله بنو إسرائيل.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة الشعراء: ٦٣).

وعبر موسى ومن معه البحر، فلما وصل فرعون وجنوده إلى شاطئ البحر، ومازال البحر منفلقاً فخاض فيه وراء بنى إسرائيل البحر وأصبح فرعون فى وسطه أمر الله موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه مرة أخرى، فعاد البحر كما كان، وغرق فرعون وجنوده.

فلما عاين الموت وأدركه الغرق قال فرعون:

﴿آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(١)

لكن الأمر قد انتهى وقد وصلت الروح الحلقوم فلا تقبل التوبة وهلك فرعون على كفره وشركه، فقد جاء الرد من الله تعالى: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾(٢)

ولفظ البحر جثة فرعون إلى الشاطئ كى تكون عبرة وعظة لمن خلفه وقاد فرعون قومه إلى الهلاك والخلود فى النار ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾(٣)

وقال أيضاً ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾(٤)

(١) سورة يونس ٩٠.

(٢) سورة يونس ٩١ ـ ٩٢.

(٣) سورة القصص ٤١ ـ ٤٢.

(٤) سورة غافر ٤٥ ـ ٥٢.. وفى هذه الآيات دليل على حدوث عذاب القبر لقوله: «النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم القيامة....».

(١٨) نهاية قارون عبد الدرهم والدينار

مازلنا فى عصر موسى عليه السلام، والحديث هنا عن رجل من قومه آتاه الله عز وجل المال الوفير والغنى الواسع حتى ضاقت خزائنه بالأموال والكنوز.

وكان وصف القرآن الكريم لما لديه من أموال وكنوز معجزاً وباهراً، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ (سورة القصص: ٧٦).

قال ابن كثير فى التفسير: إن مفاتحه كان يثقل حملها على الفئام من الرجال الشداد، وقد قيل إنها كانت من الجلود، وإنها كانت تحمل على ستين بغلاً، والله أعلم.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: كانت مفاتيح خزائنه يحملها أربعون رجلاً أقوياء.

إنه قارون ابن عم موسى عليه السلام على أرجح أقوال أهل التفسير والتاريخ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ (سورة القصص: ٧٦).

لقد ازداد تكبراً مع كثرة المال والغنى وتجاوز كل الحدود ولم يراع حق الله فى ماله من إخراج الزكاة والصدقة على الفقراء من قومه وأهله، فنصحه أهل العلم والصالحون فقالوا له:

﴿لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾(١).

أى لا تفتخر بما آتاك الله من مال ونعمة على غيرك، ثم زادوا فقالوا:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(٢).

إنها نصائح غالية عظيمة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، لا تفرح بما آتاك الله من مال وتتكبر به على الناس واستعمله فى طاعة الله لتنال ثواب الآخرة الباقية، ولا تنسى نصيبك من الدنيا مما أباح الله لك فيها من طعام وشراب ومسكن وغير ذلك من الأمور المباحة، وأحسن إلى الناس ولا تسئ إليهم فتكون من المفسدين.

لكن قارون بعد أن استمع إلى تلك النصائح العظيمة من أهل التقوى والصلاح تعاظم وتكبر وقال لهم:

﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾(١).

أى أن الله تعالى أعطاه هذا المال لأنه كان من أعلم بنى إسرائيل بالتوراة، وذلك دليل على رضا الله عليه، وهذا ما يقول بعض الناس حتى الآن، إذا أنعم الله عليه قال إنما أنعم الله علىَّ لأننى من أفضل الناس وأتقاهم له وأن الله قد رضى عنى.

أو يقول البعض أيضاً إنما جمعت هذا المال بمجهودى وعرقى فأنا رجل عصامى لم يمن أحد علىَّ.

وقيل إن قارون كان لديه علم الكيمياء أو علم من علوم الدنيا فاستغله فى جميع تلك الثروة أو أنه كان يعلم علم استخراج الكنوز من الأرض والله أعلم.

وكان رد الله على قول قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا

(١) سورة القصص: ٧٦. (٢) سورة القصص: ٧٧. (٣) سورة القصص: ٧٨.

وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (سورة القصص ٧٨).

لم يستوعب قارون الدرس ممن سبقوه من الأقوام الغابرة وأنساه المال قدرة الله وبطشه بالمفسدين الظالمين.

ولذلك فقد خرج قارون فى أبهى زينة فى موكب عظيم من الخدم والأتباع والجواهر النفيسة على قومه يتفاخر عليهم: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾(١).

وافتتن الكثيرون من قومه به فقالوا:

﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٢).

لكن أهل الصلاح والعلم نظروا إليهم وقالوا لهم زاجرين إياهم: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾(٣).

لكن طلاب الدنيا لم يلقوا بالاً لكلام أهل العلم الصالحين الأتقياء الذى عرفوا حقيقة الأمر وحقيقة تلك الدنيا وأن الجزاء والثواب فى نيل رضوان الله وجنته فى الآخرة.

وهكذا كان قارون فتنة للناس فى زمانه، فنال عقابه الفورى من ربه ليكون آية لمن رأى ومن سمع إلى يوم القيامة، فخسف الله به وبما لديه من أموال وقصور الأرض ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾(٤).

ما أغنى عنه ماله وما جمع من كنوز وما أغنى عنه عبيده ورجاله الأشداء ولا ناصر له من دون الله.

لقد أمر الله تعالى الأرض فابتعلته بما لديه ولم تبق منه أى أثر.

إنه الخسف عقاب الله للمفسدين فى الأرض.

---

(١)، (٢) سورة القصص: ٧٩. (٢) سورة القصص: ٨٠. (٤) سورة القصص: ٨١.

وكم من قرى وبلدان خسف بها فأصبحت أثراً بعد عين.

فالخسف أشد من الزلزال لأن الزلزال هزة شديدة قد تدمر ما على الأرض، أما الخسف فهو الهزة الشديدة مع ابتلاع ما على الأرض.

ورأى أهل الدنيا الذين كان يتمنون أن يكونوا مثل قارون ما حل به، فرجعوا إلى الله وندموا على ما قالوا وتمنوا من قبل وقالوا: ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾(١).

لقد أدركوا الحقيقة بعد أن رأوا ما حدث لقارون رؤيا العين.

وهكذا الناس لا يتعظون إلا إذا رأوا ما يوعدون!!.

لقد علموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء، يعطى هذه الدنيا لمن يشاء للمؤمن والكافر ولا يعطى الآخرة والجنة إلا للمؤمن فقط.

أدركوا أن ما اعطاه الله لقارون وغيره من الأغنياء ليس دليلاً على رضا الله تعالى على الأغنياء، وأن الفقر ليس دليلاً على غضب الله على الفقراء..

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا...﴾(٢)

ثم أشار الحق جل وعلا إلى الحقيقة فى نهاية القصة لأخذ الموعظة منها ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة القصص ٨٣).

(١) القصص ٨٢.
(٢) سورة الفجر ١٥ ـ ٢٠.

إنها قصة عظيمة من قصص القرآن الكريم موجهة إلى كل إنسان غنى أو فقير، فقد قال ﷺ: «إن لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتى المال»، وقال أيضا: «إن هذا الدنيا - والدرهم أهلكا من قبلكم وهما مهلكاكم.»(٣).

وصدق الله ورسوله ﷺ، ونختم هذه القصة بالحديث النبوى الشامل لتلك الأمانى.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، (نوع من الكساء) إن أعطى رضى، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان فى الحراسة، كان فى الحراسة، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع»(٢).

أى إنسان عادى من جموع الناس يكون حيث يؤمر.. حاله فى الدنيا الإهمال فإذا استأذن فى الدخول على كبار القوم وعظمائهم لا يؤذن له وإذا شفع لأحد فى الدنيا أى توسط له لا يسمع له ويؤخذ بوساطته لأنه عند أهل الدنيا رجل عادى ولكنه عند الله من أهل الإيمان وأهل التقوى ومن أهل الجنة.. والله أعلم.

(١) رواه الحاكم والترمذى.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه وابن ماجه فى سننه.

(١٩) نهاية قوم سبأ

إنه سبأ بن عبد شمس سكن اليمن وولد له عشرة أولاد ولد منهم ستة باليمن وأربعة بالشام، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إن رجلاً سأل النبى ﷺ عن سبأ ما هو؟ أرجل أم امرأة أم أرض؟

قال ﷺ: بل هو رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة، فأما اليمنيون: فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير وأما الشامية: فلخم وجذام وعاملة وغسان.»[١]

وقال المؤرخون إن سبأ كان أول سبى من العرب فسمى سبأ.

وقيل إنه أول من تتوج أى لبس تاج الملك وإنه كان مسلماً يؤمن بالوحدانية وكان يقال له الرائش لأنه كان يعطى الناس من أمواله الكثير عن طيب خاطر.

وسكن أبناؤه واحفاده اليمن وأطلق عليهم قوم سبأ، وأغدق الله عليهم من نعمه الكثير حتى كانت أرضهم ومساكنهم آية من آيات الله تعالى، كانت مثل الجنة تماماً لا نصب فيها ولا تعب لأهلها، هواء نقى وأموال وفيرة وثمار كثيرة حتى قيل إن مساكنهم وارضهم لم ير فيها بعوضة أو ذبابة أو برغوثاً أو قملة أو أى حشرة ضارة.[٢]

---

(١) رواه أحمد فى المسند وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية وقال إسناده حسن.

(٢) انظر فتح القدير للشوكانى.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (سورة سبأ ١٥).

وكـان من وصف تلك الجنتين أن المرأة كـانت تمشى تحت الأشـجـار المثمرة وعلى رأسها مكتل أو زنبيل وهو الذى تخترف فيه الثمار وتجمع فيتساقط الثمر من الأشجار دون كلفة أو مشقة أو تدخل مباشرة لكثرته ونضجه واستوائه.

وقال الشوكانى فى تفسيره أو هاتان الجنتان كانتا عن يمين واديهم وشماله قد أحاطت به من جهتيه وكانت مساكنهم فى الوادى. وكان به ماء يأتيهم بين جبلين وتجتمع فيه السيول أيضا، فقاموا ببناء سد مأرب لتخزين المياه الفائضة.

إنه النعيم فى الدنيا، ونعم تستوجب الشكر عليها لله عز وجل المعطى الوهاب، وهذا ما أراده الله منهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾.

نعم اشكروا له فهو المنعم وهو الرزاق، والشكر إقرار بفضل الله على عباده، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (سورة إبراهيم ٧).

فشكر الله على نعمه يزيد من تلك النعم العظيمة وعدم الشكر يؤدى إلى زوال تلك النعم وذلك الفضل من الله.

فما كان رد قوم سبأ على نعم الله عليهم هل شكروا الله أم كفروا به؟.

الجواب جاء فى كلام الله فى سورة تسمى بأسمهم «سورة سبأ»: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾.

لقد كان الجواب ملخصاً فى كلمة واحدة هى الإعراض أى عدم الشكر على نعم الله كما فعل «قارون» تماماً حيث طلب منه أيضاً أن يؤدى الشكر

على نعم الله عليه، فلم ينسب الفضل لله وإنما جعل ما أعطاه الله له لأنه كما زعم يستحق ذلك.

وهكذا فعل قوم سبأ، «فَأَعْرَضُوا» وكذبوا وكفروا بالله الذى أسبغ عليهم تلك النعم.

وكان جواب الله وعقابه لهم أن أرسل عليهم سيل العرم، قال تعالى ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾(١)

وقال أهل التفسير إن السيل العرم هو المطر الشديد، ماء أحمر أرسله الله على السد فشقه وهدمه، وقالوا أيضا إن «سيل العرم» هى الفئران.

قال ابن الأعرابى إن العرم من أسماء الفأر. وقال ابن كثير: قال غير واحد أرسل الله على أصل السد الفأر وهو الجرذ، فلما فطنوا لذلك أرصدوا عندها السنانير (القطط). وقال القرطبى فى تفسيره عن وهب إنهم وضعوا القطط بين الصخور ولكن لم تغن عنهم شيئاً.

وأبدلهم الله زروعا أخرى رديئة لا تقارن بسابقتها: ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ (سورة سبأ ١٦).

الخمط قيل هو الأراك، وقيل هو ثمر لا يأكل والأثل شجر لا يثمر والسدر هو شجر النبق.

فكان الجزاء من جنس العمل، وخربت بلادهم وديارهم مما أدى إلى هجرتهم من أرض اليمن والتفرق والتشرذم فى بقاع الأرض وانتهى أمرهم وأصبحوا مثلا يضرب لكل من لم يشكر نعم الله عليه فيكون هذا جزاءه.

وصدق رسولنا ﷺ إذ يقول: «إن للطاعم الشاكر من الأجر مثل ما للصائم الصابر».(٢)

(١) سورة سبأ آية ١٦ ـ ١٧. (٢) رواه الحاكم وأحمد فى المسند والترمذى وابن ماجه فى سننه.

(٢٠) نهاية صاحب الجنتين

مازلنا مع عبيد الدرهم والدينار الذى لا يشكر الله على نعمه ويغتر بما لديه من أموال ونعم كثيرة.

وقد ذكر الله لنا فى كتابه العزيز قصة صاحب الجنتين فى سورة الكهف كمثل ضربه الله للناس.

قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا﴾ (سورة الكهف: ٣٢، ٣٣).

ولا يهمنا ما اسم صاحب هاتين الجنتين أو فى أى عصر عاش أو ما اسم صاحبه الآخر المؤمن، فالأسماء لا تهم بقدر أهمية المغزى والهدف من القصة.

قال أهل التفسير إن المشهور بأن هذين الرجلين كانا صاحبين وكان أحدهما مؤمناً والآخر كافراً(١).

وقد أعطى الله لأحدهما جنتين وكان ذلك العطاء للكافر كما سيتضح من سياق الآيات.

وأفاض القرآن الكريم فى وصف هاتين الجنتين وما فيهما من أعناب والنخيل المحيط بالجنتين من جميع الجوانب وبين النخيل زرع، وهاتان الجنتان

(١) تفسير ابن كثير.

تؤتيان أكلهما ولم تنقص منهما شيئاً ثم يجرى الماء فى داخل هاتين الجنتين.

وأعطى الله هذا الرجل أيضاً مالاً وفير من ذهب وفضة وغير ذلك من متاع الدنيا.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ (الكهف: ٣٤).

فماذا فعل هذا الرجل، نظر إلى ما أعطاه الله من نعم وشعر بالغرور والزهو وقال لصاحبه: أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً.

ولم يكتف بذلك بل أكمل كلامه وأعلن عن كفره صراحة: قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً، وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلباً.

وهكذا نسى أن المعطى والرزاق هو الله حتى أنه تيقن أن الساعة والآخرة لن تأتى وحتى ولو جاءت فرضا جدلاً سوف يعطيه ربه أكثر مما أعطاه فى الدنيا.

إنه منطق قارون وقوم سبأ وكثير من الناس.. إنه منطق الكافرين بنعم الله الذى يؤدى إلى الكفر الصريح بالله.

لكن صاحبه المؤمن بعد أن سمع هذا الكلام من صديقه الكافر وقد أزعجه هذا الإنكار للبعث والكفر بنعمة الله فقال لصاحبه رداً عليه: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴿٣٧﴾ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴿٣٨﴾ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً﴾(١).

لقد كانت كلامات هذا الرجل المؤمن الموجزة كثيرة المعانى، فقد أوضح لصاحبه الكافر أنه بما قاله قد كفر بالذى خلقه، وإنما هو فإنه يقر بالوحدانية لله ولا يشرك به شيئاً.

(١) سورة الكهف ٣٧ ـ ٣٩.

ثم عقب على حديثه إنه لا يحسد صديقه على ما آتاه الله من المال والنعم، ونصحه إذا ما دخل جنته قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فمن قال ما شاء الله لا قوة إلا بالله حين يرى ما يعجبه لا تصيب هذه النعمة الحسد أو الضرر.

وهى كلمة تقال للدلالة على تسليم الأمر لله، وهى كلمة من كنوز الجنة كما قال ﷺ: عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ: الا أدلك على كلمة من كنوز الجنة، قلت بلى: قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، إذا قالها العبد. قال الله عز وجل: أسلم عبدى واستسلم.

وقال أيضاً: من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره عين»(١).

ثم أعقب الرجل المؤمن حديثه ووعظه لصاحبه: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ (سورة الكهف: ٤٠ ـ ٤١).

واستجاب الله دعاء العبد الصالح، ونزل العقاب على ذلك الصاحب الكافر، فأحاط الله بالجنتين من كل جوانبها ودمرها تدميرا فحين ذهب الكافر إلى جنتيه كعادته فى الصباح وقد دمرتا، ضرب كفاً بكف وندم على حصل فيها حين لا ينفع الندم.

قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ (سورة الكهف: ٤٢ ـ ٤٤).

وهكذا سلب الله نعمته من هذا العبد الكافر الذى رفض الاستماع لنصيحة صديقه المؤمن وأصر على كفره، ونعوذ بالله من السلب بعد العطاء.

(١) انظر كتاب الكلم الطيب.

(٢١) نهاية
مانعى الزكاة والصدقة

لانزال نعيش مع قصص الكافرين بنعم الله عليهم الذين لا يؤدون حق الله فى أموالهم، إنهم أصحاب الجنة الذين جاء ذكرهم فى سورة القلم.

قيل إن أحداث هذه القصة قد وقعت على أرض اليمن فى قرية يقال لها: «ضروان» على بعد ستة أميال من صنعاء(١).

عاش فى القرية أحد الأغنياء الصالحين ذى السيرة الحسنة، وكانت له جنة تؤتى ثمارها كاملاً، فكان يخرج زكاة ماله كما أمر الله، ويخرج زكاة الثمار والزروع وقت حصادها.

قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ (سورة القلم ١٧ ـ ٢٠).

ضرب الله هذه القصة مثلاً لكفار قريش ومن هم على شاكلتهم، فبعد وفاة الأب الصالح ورث أبناؤه الحديقة ولكنهم اتخذوا مسلكاً غير مسلك أبيهم من إخراج الزكاة وإعطاء حق الله فى حديقتهم للفقراء كما كان يفعل الأب الصالح.

(١) انظر تفسير ابن كثير وفتح القدير للشوكانى وغيرهما.

فماذا فعل الأبناء؟.

قال الأبناء: لقد كان أبونا أحمق إذا كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء ولو أنا منعناهم لتوفير ذلك علينا.

لقد أساءوا مرتين مرة لسبهم أباهم والأخرى لحرمان الفقراء حقهم وبالفعل حين جاء وقت حصاد الحديقة.

اتفق الأبناء على عدم إعطاء الفقراء شيئاً وأن يذهبوا سرّاً إلى حديقتهم قبل الصباح كى يحصدوا الثمار قبل حضور الفقراء كعادتهم أيام أبيهم.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ (سورة القلم: ٢١ - ٢٥).

فجاء انتقام الله منهم وعقابه لهم بأن أرسل على الحديقة ناراً أحرقتها وهم نائمون، فأصبحت سوداء لا يصلح منها شىء.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾(١).

اعتقدوا لما رأوا ما حدث بحديقتهم أنهم ضلوا فقالوا لبعضهم البعض: قد ضللنا الطريق إلى حديقتنا وليست هى.

فلما تأكدوا أنها حديقتهم وأن عذاب الله قد حل بهم لما أرادوا أن يفعلوه قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾(١).

أى حرمنا من ثمار الحديقة بسبب ما وقع منا من العزم على منع حق المساكين من خيرها.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾(٢).

قال أهل العلم إن هذا الأخ الأوسط قد نصحهم بعد فعل ما عزموا

(١) سورة القلم: ٢٧. (٢) سورة القلم: ٢٨.

عليه وقال لهم:

ألا تحمدون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم عليكم به بإخراج حق المساكين.

واعترف الإخوة بخطئهم بعد فوات الأوان وأخذ يلوم بعضهم البعض ثم أعلنوا توبتهم إلى الله وعزموا على ألا يعودوا لمثله مستقبلاً.

قال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(١)

وهكذا كانت نهاية مانعي حق الفقراء والمساكين في أموالهم وزروعهم كما قال تعالى: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (سورة الأنعام: ١٤١).

فالصدقة تداوي المرضى وتحصن الأموال كما قال ﷺ.

والصدقة برهان على صدق إيمان العبد وهي تطفئ غضب الرب، وتطهر العبد من ذنوبه وتزكيه عند ربه، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٢)

---

(١) سورة القلم ٢٩ ـ ٣٣.

(٢) سورة التوبة ١٠٣.

(٢٢) نهاية بلعام بن باعوراء

أحد علماء بنى إسرائيل فى عهد موسى عليه السلام.

قيل إنه كان عنده اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به الله أجاب وإذا سئل به أعطى.

أرسله موسى إلى قوم مدين ليدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، فلما ذهب إليهم ودعاهم حاولوا أغراءه بالمال مقابل أن يترك ما جاء إليهم من دعوته إلى الله فرفض عرضهم عليه ثم كرروا محاولتهم بأن عرضوا عليه أجمل نسائهم، وظلوا به حتى وافق وزلت قدمه وأصبح من أعوان الشيطان وانسلخ من آيات الله التى حملها فى قلبه وعقله، فكان من الغاوين الهالكين.

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ (الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦)

فقد شبه الله حاله كحال الكلب فى أخس حالاته حيث يصيبه التعب والعطش، فيلهث ويخرج لسانه ويتنفس بصعوبة بالغة.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها وأن تتركه لم يهتد إلى خير كالكلب إن كان رابضاً لهث وإن طرد لهث.

وقال الحسن: هو المنافق لا يثبت على الحق، دعى أو لم يدع وعظ أو لم يوعظ، كالكلب يلهث طرداً أو تركاً.

ومن المعروف أن الكلب أقل الحيوانات صبراً على الماء وإذا عطش أكل الثرى من العطش وإن كان فيه صبر على الجوع، وهو أشد الحيوانات لهثا فى كل أحواله. وهكذا خسر هذا العالم الإسرائيلى الدنيا والآخرة.

وذكر بعض أهل التفسير أن بلعام كان عابداً لله يعرف اسم الله الأعظم وإن الجبارين جاءوا إليه حين حاربهم موسى عليه السلام وسألوه أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى ومن معه، فقال لهم: ويلكم، نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون، كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم، وإنى إن فعلت هذا ذهبت دنياى وآخرتى.

فألحوا عليه، فقال: حتى أؤامر ربى. وكان لا يدعو إلا إذا رأى رؤيا فى منامه.

فرأى فى المنام إلا يدعو عليهم، فأخبر بذلك قومه، فألحوا عليه وتضرعوا إليه حتى فتنوه فافتتن وخرج على حماره حيث معسكر موسى وبنى إسرائيل كى يدعو عليهم، فكان لا يدعو بشىء إلا حرف الله لسانه إلى قومه، أى إنه حين يدعو على بنى اسرائيل نطق لسانه بالدعاء على قومه وهو لا يدرى، فقال له قومه:

- يا بلعام، أتدرى ماذا تصنع إنما تدعو لهم وتدعو علينا.

فقال: قد ذهبت الآن منى الدنيا والآخرة.

ونزلت فى حقه الآيات التى ذكرناها من سورة الأعراف(١).

---

(١) انظر تفسير البغوى، وتفسير ابن كثير وتفسير القرطبى.

(٢٣) قصة أصحاب السبت

إنهم أصحاب المكر والخديعة من اليهود فى العهود السالفة، وهى إحدى عادات اليهود قديماً وحديثاً حيث يحلون ما حرم الله عليهم.

وقد حذر رسولنا ﷺ عن ارتكاب ما ارتكبه اليهود فعل ما فعلوا.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»(١)

وقد ذكر القرآن الكريم قصة أصحاب السبت فقال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (سورة البقرة: ٦٥)

وقال أهل التفسير والتاريخ إن قصة أصحاب السبت وقعت فى قرية تسمى «أيلة» تقع على شاطئ بحر القلزم فى زمن داود عليه السلام.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: إن قوماً من بنى إسرائيل فى زمن داود عليه السلام سكنوا قرية على شاطئ البحر بين مصر وحطين يقال لها أيلة».(٢)

والقصة كما ذكرها أهل التفسير أن الله قد افترض على بنى إسرائيل يوم الجمعة عيداً لهم فخالفوا إلى يوم السبت وعظموه وتركوا ما أمروا به، فلما أبوا إلا لزوم السبت ابتلاهم الله فيه، فحرم عليهم ما أحل لهم فى غيره، فحرم عليهم صيد الحيتان فيه وأكلها.

(١) انظر إرواء الغليل لابن بطة وذكره ابن كثير وقال إسناده جيد.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، وهو قول مجاهد وعكرمة والسدى وغيرهم.

فكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت الحيتان على شواطئهم شرعاً، حتى إذا ذهب يوم السبت ذهبت فلم يستطيعوا صيدها.

واستمر هذا الأمر طويلاً حتى شق ذلك عليهم، وعمد رجل منهم فأخذ حوتاً يوم السبت وربطه بخيط ثم أرسله إلى الماء وجعل له وتداً فى الساحل فأوثقه به ثم تركه، حتى إذا كان يوم الأحد قام بسحبه إلى الشاطئ وأخذه ثم آكله، وتكرر منه ذلك الفعل حتى علم أهل القرية بما يفعله، ففعلوا مثلما فعل من التحايل على أوامر الله.

واستمر فعلهم زمنا طويلاً حتى صادوها علانية وباعوها فى الأسواق.

وقالت طائفة مؤمنة منهم لهؤلاء المخالفين: ويحكم اتقوا الله.

ونهوهم عما كانوا يصنعون، لكنهم لم ينتهوا عما صنعوا.

(٢٤) نهاية أصحاب السبت

قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٣)

هكذا حدد أصحاب الموعظة أهدافهم رغم علمهم بنهاية العاصين المخالفين لأوامر الله، قالوا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

لقد كان قول الطائفة التى لم تفعل فعل هؤلاء القوم لهؤلاء الواعظين: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

كانوا هؤلاء من الذين لم يأكلوا من الحيتان ولم يفعلوا مثلهم ولكنهم لم يعظوهم ظناً منهم أن امتناعهم عن صيد الحيتان يوم السبت كافٍ من عدم إلحاق العذاب بهم، إلا أن رد الواعظين كان مفحماً لهم، حيث قالوا لهم رداً على سؤالهم إنهم يقدمون المعذرة إلى الله على عدم استطاعتهم إيقاف هؤلاء عن فعلهم، وأيضا لعل هؤلاء العاصين يعودون عن فعلهم ويتوبون.

ومن هذه الموعظة نعلم الا ييأس الدعاة إلى الله من أهل المعصية ويستمروا فى نصحهم لعلهم يتوبون إلى الله.

وهكذا انقسم القوم إلى ثلاثة أقسام الأول: عاصين لله، الثانى: لم يفعلوا فعلهم ولم يشاركوهم فى المعصية، والثالث: زاد على الفريق الثانى أن استمروا

فى النصح والدعوة إلى ترك المعصية وهؤلاء هم الناجون فى نهاية الأمر.

واعتزل القوم الناصحون القوم الفاسقين وجعلوا بينهما سوراً حتى إذا نزل العذاب بهؤلاء كانوا هم الناجين.

وبالفعل نزل سخط الله وعذابه بأصحاب السبت، فأصبحوا قردة وخنازير.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٦٦).

وذهب المؤمنون إلى ديار الفاسقين فوجدوهم وقد أصبحوا قردة، وأنهم ليعرفون الرجل بعينه وأنه لقرد، والمرأة بعينها وإنها لقردة والصبى بعينه وإنه لقرد(١).

قال القرطبى: فجعل القرد يأتى قريبه فيشم ثيابه ويبكى، فيقول: ألم أنهك، فيقول برأسه بلى. (أى قد حصل)

قال ابن كثير: فلما فعلوا ذلك، مسخهم الله إلى صورة القردة وهى أشبه شىء بالأناسى فى الشكل الظاهر وليست بإنسان حقيقة، فكذلك أعمال هؤلاء وحيلتهم لما كانت مشابهة للحق فى الظاهر ومخالفة له فى الباطن، فكان جزاؤهم من جنس عملهم.(٢)

وظلوا على حالتهم تلك لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون ثم أماتهم الله تعالى، ولم يعش منهم مسخ قط فوق ثلاثة أيام.

قال ﷺ: « إن الله لم يجعل للمسخ نسلاً ولا عقباً وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك.»(٣)

---

(١) انظر تفسير ابن كثير.

(٢) المصدر السابق.

(٣) رواه مسلم وأحمد فى المسند.

قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة البقرة: ٦٦).

وقال تعالى عن الذين نهوا هؤلاء عن فعل المعصية: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٥)

قال ابن كثير: والمقصود هنا أن الله أخبر أنه أهلك الظالمين ونجى المؤمنين المنكرين وسكت عن الساكتين.

وقد اختلف العلماء فيهم (أى عن الساكتين) على قولين، فقيل: إنهم من الناجين وقيل إنهم من الهالكين، والصحيح الأول عند المحققين وهو الذى رجع إليه ابن عباس إمام المفسرين(١).

(١) تفسير ابن كثير.

(٢٥) نهاية صانع العجل

إنه السامرى، رجل من بنى إسرائيل دخل التاريخ من أسوأ أبوابه، قيل إن اسمه موسى السامرى ولد فى العام الذى ولد فيه نبى الله موسى عليه السلام، وهرب به أبواه خشية أن يقتله جنود فرعون تنفيذاً لأمر الفرعون بقتل ذكور بنى إسرائيل، وتركه أبواه فى أحد الكهوف وأن جبريل عليه السلام كان يرعاه ويأتى إلبه بالطعام والماء حتى كبر وشب وأصبح رجلاً، وفى ذلك يقول الشاعر:

فموسى الذى رباه فرعون مرسل

وموسى الذى رباه جبريل كافر

وهذا الكلام عن نشأته مرسل وغير موثق ولعله من خيال الشعراء والمؤرخين.

ولكن الذى يهمنا فى قصة هذا السامرى هو ذكر الحق سبحانه وتعالى فى قرءانه عنه.

والقصة تبدأ بعد خروج بنى إسرائيل من مصر، ثم صعود موسى عليه السلام جبل الطور لميقات ربه ثلاثين ليلة، وقال لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين.

وانتظر بنو إسرائيل عودة موسى عليه السلام بعد الثلاثين يوماً، فلم يرجع إليهم لأن الله زاد فى الميقات عشرة أيام أخرى.

فقال لهم السامرى: إنما أخلف موسى ميعادكم لما معكم من الحلى المسروقة من المصريين، فهى حرام عليكم.

وأشار عليهم السامرى بصنع تمثال على هيئة العجل أبيس وقال لهم هذا هو إله موسى فعبدوه، وألقى السامرى فى فم العجل الذى صنعه من حليهم ترابا فخار التمثال خوار البقر، وكان ذلك التراب قد أخذه السامرى من الأرض التى مشى عليها فرس جبريل عليه السلام يوم عبر بنو إسرائيل البحر.

ولاحظ السامرى أن التراب الذى مسه حافر الفرس فيه الحياة وينبت الزرع من فوره، فأخذ بعضه واحتفظ به، ولذلك قال السامرى لموسى حين سأله عن فعله: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ (سورة طه: ٩٦)

فقد كان هذا الأثر لا يبقى على جماد إلا دبت فيه الحياة كما قال المفسرون.

وقبل عودة موسى عليه السلام من ميقات ربه أخبره الله تعالى بعبادة قومه العجل، ولذلك نزل إليهم موسى عليه السلام غضبان آسفاً لما فعلوه وألقى الالواح التى كتبت فيها الوصايا العشر بعد أن رآهم عاكفين على العجل يعبدونه ويرقصون حوله، قال تعالى:

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ (سورة طه: ٨٥ ـ ٨٦)

فكان رد قومه عليه: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ (سورة طه ٨٧ ـ ٨٨)

وتوجه موسى عليه السلام إلى السامرى صانع الصنم وصاحب الفتنة

ومحركها، ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾؟ (سورة طه: ٩٥).

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ (سورة طه: ٩٦).

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (سورة طه: ٩٧ - ٩٨)

وهكذا طرد السامرى من بنى إسرائيل وكتب عليه أن يعيش فى الدنيا لا يمسه أحد ولا يمس هو أحدا، فينتظر وعد الآخرة وعذاب الله يوم القيامة، وأما العجل الذى صنعه فقد تم نسخه وتدميره وإلقاؤه فى البحر.

وقد ذكر البعض أن السامرى هو المسيخ الدجال ولهذا لم يقتله موسى عليه السلام وقال له: «وإن لك موعداً لن تخلفه» لأن موعده قرب قيام الساعة، وهذا اجتهاد لا دليل عليه إلا العقل. والله أعلم.

(٢٦) نهاية عباد العجل

وأما عن الذين عبدوا العجل من بنى إسرائيل فقد كانت لهم سابقة أمنية لعبادة الأوثان بعد عبورهم البحر ونجاتهم من فرعون حين رأوا أقواما يعكفون على أصنام لعبادتها فقالوا لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (الأعراف: ١٣٨).

ولذلك لما عرض عليهم السامرى صناعة العجل وعبادته وافقوه وأطاعوه من فورهم، ثم قالوا لموسى عليه السلام حين سألهم عن فعلتهم تلك: ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ (سورة طه: ٨٧)

وقد قال لهم هارون عليه السلام حين رآهم يعبدون العجل: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ (سورة طه: ٩٠)

فكان ردهم عليه: ﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ (سورة طه: ٩١)

ولما اشتد هارون فى إنكاره عليهم عبادتهم العجل ضربوه حتى كادوا أن يقتلوه وتحدث فتنة أكبر وأشد فاعتزلهم ومن معه من المؤمنين.

وعاتب موسى عليه السلام أخاه هارون وأمسك بلحيته وبرأسه بقسوة قائلاً

له: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ (سورة طه: ٩٢ ـ ٩٣)

وكان موسى عليه السلام قبل الذهاب لميقات ربه قد قال لأخيه هارون ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٤٢)

فقال له هارون: ﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٠)

وقال له أيضاً ﴿قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (سورة طه ٩٤).

وهنا تركه موسى عليه السلام وتوجه إلى ربه داعيا إياه: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٥١)

وكان أمر الله وعقابه للذين عبدوا العجل من بنى إسرائيل أن يتوبوا إلى ربهم بقتل أنفسهم..

قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٥٤)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الأعراف ١٥٢ ـ ١٥٣)

وقال أهل التفسير الذين لم يعبدوا العجل قاموا بتنفيذ حكم القتل فى الذين عبدوا العجل بعد أن تغشتهم سحابة حتى لا يرى القاتل من يقتله من أقربائه، وهكذا كانت توبة الذين عبدوا العجل من بنى إسرائيل(١).

(١) انظر تفسير ابن كثير وغيره من التفاسير الأخرى التى ذكرت كيفية توبة الذين عبدوا العجل من قتل انفسهم، ومن رحمة الله بأمة محمد ﷺ أن جعل التوبة لهم سهلة وميسورة لا تستوجب ما فرض على بنى إسرائيل.

(٢٧) نهاية أبرهة الحبشى

أصحاب الفيل هم قوم أبرهة الحبشى ملك اليمن وجيشه قبل ميلاد النبى ﷺ، وكان نصرانياً فبنى كنيسة سماه «القليس» وأراد أن يحج الناس إليها ويصرفهم عن الحج لبيت الله الحرام الكعبة المشرفة.

وكانت «القليس» عظيمة البناء، لكن الناس لم ينصرفوا عن الحج إلى الكعبة، وقام أحد الأعراب بالتغوط فى «القليس» فغضب أبرهة الحبشى وقرر الانتقام من العرب وهدم الكعبة المشرفة بمكة، وجهز جيشاً عظيماً تتقدمه الفيلة وعلى رأسه فيل عظيم لهدم الكعبة.

ولما وصل أبرهة على مشارف مكة المكرمة جاءه عبد المطلب زعيم قريش وظن أبرهة أنه يريد التفاوض معه فى أمر هدم الكعبة، إلا أنه فوجئ بأن عبد المطلب يكلمه فى أمر مائة بعير أخذها جيش أبرهة هى ملك له، وحين أخبره أبرهة أنه ظن أنه جاءه ليحدثه فى أمر الكعبة، فقال له عبد المطلب قولته المشهورة: أن للبيت رباً يحميه.

وحين أراد أبرهة أن يوجه الجيش إلى الكعبة رفض الفيل أن يتقدم خطوة واحدة، فإذا صرفوه تلقاء اليمن انطلق يهرول، ثم إذا أعادوه للسير تلقاء البيت العتيق برك إلى الأرض، وظل هكذا حتى أنزل الله على أبرهة وجيشه طيراً أبابيل ترميمهم بحجارة من سجيل فجعلتهم كعصف مأكول.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ (سورة الفيل)

قال أهل السير إن الله أرسل عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة أحجار صغيرة جداً أحدها فى منقاره واثنان فى رجليه، لا تصيب أحداً إلا أهلكته.

وهرب الجنود وهم يتساقطون صرعى، وأصيب أبرهة مثلهم وتساقطت اعضاؤه حتى قدموا به اليمن وقد انصدع صدره عن قلبه ومات.

وجعل الله أصحاب الفيل كورق الزرع إذا أكلته الدواب ثم رمت به من فمها إلى الأرض وذلك جزاء الظالمين.

وصدق الله العظيم ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾. والحمد لله رب العالمين.

قلت: وقد اقتضت حكمة الله أن يتصدى لمن يحاول الاعتداء على البيت العتيق من غير المسلمين فى كل زمان، وأما إذا حدث ذلك من المسلمين الضالين فالأمر موكول إلى أهل الاسلام للتصدى لهم كما حدث فى بعض الأحيان على مر التاريخ الإسلامى مثل ما حدث من القرامطة الضالين حين اقتلعوا الحجر الأسود من الكعبة وقتلوا الحجيج فى موسم الحج أيام الخلافة العباسية. والله أعلم.

(٢٨) نهاية أصحاب الأخدود

أصحاب الأخدود قصة من قصص القرآن الكريم، ذكر الله تعالى خاتمتها فى سورة البروج فى قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾

(البروج: ٤ ـ ١١)

وأما سياق القصة من بدايتها فقد ذكرها رسولنا ﷺ لأصحابه فيما رواه مسلم فى صحيحه وغيره عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال:

«كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر فلما كبر قال للملك: إنى قد كبرت فابعث إلىَّ غلاماً أعلمه السحر، فبعث له غلاماً يعلمه.

فكان ـ أى الغلام ـ فى طريقه إذا سلك إليه كان فى طريقه راهب، فقعد إليه يسمع كلامه فأعجبه، فكان إذ أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه وإذا تأخر فأتى أهله ضربوه فشكى ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى وإذا خشيت اهلك فقل: حبسنى الساحر.

فبينما هو كذلك إذا أتى على دابة عظيمة[١] قد حبست الناس ـ أى قطعت عليهم الطريق ـ ، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل.

فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس.

فرماها فقتلها ومضى الناس.

فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أى بنى أنت اليوم أفضل منى، قد بلغ من أمرك ما أرى وأنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علىَّ.

وكان الغلام يبرئ الأكمة والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس الملك وكان قد عمى، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيتنى.

فقال ـ أى الغلام ـ: إنى لا أشفى أحداً إنما يشفى الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك.

فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك:

من رد عليك بصرك؟

قال: ربى.

قال: ولك رب غيرى؟

قال: ربى وربك الله.

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام، فجئ بالغلام، فقال له الملك: أى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل.

فقال: إنى لا أشفى أحدا إنما يشفى الله.

(١) دابة عظيمة اى حيوان مفترس مثل الأسد.

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجىء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك.

فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جىء بجليس الملك فقيل له: ترجع عن دينك.

فأبى، فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه.

ثم جئ بالغلام فقيل له ارجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا الجبل، فقال ـ الغلام ـ: اللهم اكفينهم بما شئت.

فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء بمشى إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟.

قال: كفانيهم الله.

فرفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه فى قرقور ـ مركب أو سفينة ـ فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه.

فذهبوا به فقال ـ الغلام ـ: اللهم اكفينهم بما شئت.

فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا، وجاء يمشى إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟.

فقال: كفانيهم الله.

فقال للملك: إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به.

قال: ما هو؟.

قال: تجمع الناس فى صعيد واحد؟ وتصلبنى على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتى، ثم ضع السهم فى كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم

ارمنى، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى.

فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم فى كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم فى صدغه، فوضع يده على صدغه فى موضع السهم فمات.

فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام.

فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس.

فأمر بالأخدود(١) فى أفواه السكك، فخدت وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له: اقتحم.

ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبرى فإنك على الحق.

وهكذا تمسك المؤمنون الذين ذاقوا حلاوة الإيمان بدينهم وماتوا عليه فأصبحوا شهداء عند الله وسجلت قصتهم بأحرف من نور فى كتاب الله.

أما أصحاب الأخدود الملك الطاغية ومن معه من الجنود والأعوان والأتباع فقد نالوا جزاءهم فى الدنيا عذاب الحريق وذلك أن النار ارتفعت من الأخدود إلى الملك وأصحابه فأحرقتهم، وهذا تفسير قوله تعالى عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (سورة البروج: ١٠).

قال أهل التفسير لهم فى الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم، ولهم عذاب الحريق وهو عذاب آخر فى الدنيا.

قال الربيع بن أنس والكلبى وذلك أن النار ارتفعت من الأخدود إلى الملك وأصحابه فأحرقتهم، وهكذا عذبهم الله بالنار فى الدنيا والآخرة.

(١) الأخدود هو شق فى الأرض.

وأما الغلام فإنه قد دفن، وإنه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل، وذلك حين تم حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجة فوجد الغلام بالحالة التى مات عليها، فإذا أخذت يده عنها انبعث دماً، وفى يده خاتم مكتوب فيه «ربى الله»، فكتبوا إلى عمر ابن الخطاب فى شأنه، فأمر أن أقروه على حاله وردوا عليه الذى كان عليه، ففعلوا وأعادوا دفنه.(١)

وهكذا نال الملك وأعوانه جزاءهم فى الدنيا وينتظرهم عذاب أشد فى الآخرة، وقد يقول قائل فما ذنب أعوان الملك وجنوده الذين نفذوا أوامره؟ فنقول لهم إنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق كما قال رسولنا ﷺ، فلولا جنود الملك الطاغية واعوانه ما استطاع الملك أن يكون طاغية.

لقد كان فى قصصهم عبرة وعظة لمن أراد العظة والموعظة وذكر الله كثيراً، أما الغافلون فلا مكان لهم فى تلك القصص وهذه المواعظ، نسأل الله أن نكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

(١) انظر تفسير ابن كثير ـ سورة البروج ـ وتفسير الشوكانى المسمى فتح القدير وقيل إن اسم الغلام عبدالله بن السامر، وقيل: ميمون. والله أعلم فالأسماء لا تهم فى تلك القصص.

(٢٩) مصرع فرعون هذه الأمة

إنه أبو جهل عمرو بن هشام، زعيم مشركى قريش فى حربهم للنبى ﷺ والإسلام والمسلمين أسماه رسول الله ﷺ بأبى جهل رغم أن كنيته عند قريش أبو الحكم وذلك لأن جهله جعله يعاند ويكابر ويكفر رغم علمه بأن محمداً ﷺ نبى مرسل من عند الله.

قام أبو جهل بقيادة فرق التعذيب للذين آمنوا بنفسه، فعذب المسلمين عذاباً أليماً، وقتل سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر رضى الله عنهم بنفسه فطعنها بحربته فى فرجها فكانت أول شهيدة فى الإسلام، ولحقت بزوجها ياسر فكان موعدهما الجنة كما أخبر الرسول ﷺ.

وأبو جهل هو صاحب فكرة قتل النبى ﷺ يوم الهجرة حين أشار على كفار قريش فى اجتماعهم الشهير بأن يختاروا شابّاً من كل قبيلة ومعه سيفه ثم يضربوا النبى ﷺ ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل ويرضى أهله بالدية، وقاد فريق الاغتيال بنفسه، إلا أن الله أنجى رسوله ﷺ وحفظه برعايته.

وفى العام الثانى من الهجرة قاد أبو جهل أكثر من ألف مقاتل من قريش إلى المدينة المنورة لقتال الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين وقال: والله لا نرجع حتى نرد بدراً، فنقيم ثلاثاً، فننحر الجزور ونطعم الطعام، ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان ـ المغنيات ـ وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلايزالوا يهابوننا أبداً.

فخاب وخسر وقاد قومه إلى مصارعهم فى بدر، فكان خروجه بطراً ورئاء الناس وصداً عن السبيل القويم سبيل الله القدير..

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (سورة الأنفال: ٤٧).

وكان مصرعه ونهايته فى تلك المعركة على أرض بدر وعلى أيدى ثلة من المؤمنين، فقد روى البخارى فى صحيحه قصة مقتل أبى جهل يوم بدر الكبرى.

عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال: إنى لفى الصف يوم بدر، إذ التفت عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن، فكأنى لم آمن لمكانهما إذ قال لى أحدهما سرّاً من صاحبه: يا عم، أرنى أبا جهل.

فقلت: يا ابن أخى ما تصنع به؟

قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه.

وقال لى الآخر سرّاً من صاحبه مثله، فما سرنى أننى بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء.

وبعد انتهاء المعركة وانتصار الإسلام والمسلمين قال رسول الله ﷺ: من ينظر ماذا صنع أبو جهل؟

قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنا يا رسول الله. فأنطلق فوجده - أى أبا جهل - قد ضربه ابنا عفراء حتى برد. وبه رمق.

قال: فآخذ بلحيته، قال: فقلت: أنت أبو جهل؟

فقال - أى أبو جهل -: وهل فوق رجل قتلتموه.

أو قال: قتله قومه.

فقال: هل أخزاك الله؟(١)

وفى رواية أخرى يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: انتهيت إلى أبى جهل وهو صريع وعليه بيضة، ومعه سيف جيد، ومعى سيف ردئ، فجعلت أنقف رأسه بسيفى ـ أى أضربه به ـ وأذكر نفقاً كان ينفق رأسى بمكة حتى ضعفت يده، فأخذت سيفه، فرفع رأسه فقال: على من كانت الدائرة لنا أو علينا؟ أو لست رويعنا بمكة(٢).

قال: فقتلته ثم أتيت النبى ﷺ، فقلت: قتلت أبا جهل.

فقال: الله الذى لا إله إلا هو؟

فاستحلفنى ثلاث مرات، ثم قام معى إليهم ـ أى قتلى الكفار ـ فدعا عليهم.

وأطلق عليه رسول الله ﷺ يومها لقبا آخر وهو «فرعون هذه الأمة».

(١) البخارى ومسلم.

(٢) أى راعى الغنم. وكان أبو جهل عليه اللعنة قد لطم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على وجهه فى مكة حين كان يقرأ القرآن فى المسجد الحرام حتى أدمى أذنه من تلك الضربة فأمكنه الله منه يوم غزوة بدر الكبرى.

(٣٠، ٣١) مصرع أبى لهب وزوجته أم جميل

إنه عبد العزى بن عبد المطلب ويكنى أبو عتبة ولقبه أبو لهب لاحمرار وجنتيه، وكذلك كان عم النبى ﷺ، لكنه انضم إلى معسكر المشركين المحاربين لله ورسوله منذ أول وهلة.

فقد دعاه الرسول ﷺ حين أمره الله أن ينذر عشيرته الأقربين قبل أن يصعد جبل الصفا وينذر قريش، لكن أبو لهب أبى وتكبر وحرض بنى عبد المطلب وبنى هاشم على محاربة النبى ﷺ، ثم انضم إلى أبى جهل وغيره من كفار قريش فى محاربة الإسلام والرسول ﷺ.

وكان أبو لهب رجلا وضئ الوجه ذا ضفيرتين كما وصفه ربيعة بن عباد رضي الله عنه حين قال: رأيت النبى ﷺ فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز وهو يقول: يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا. والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضئ الوجه أحول ذو غديرتين يقول: «إنه صابئ كاذب»، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب(١).

وحين صعد النبى ﷺ جبل الصفا مذعناً لأمر ربه بدعوة الناس لعبادة الله وإنذارهم عذابه إن هم عصوا أمره، فصعد الجبل فنادى:

«يا صباحاه» فاجتمعت إليه قريش فقال: أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقونى؟

(١) رواه أحمد فى المسند.

قالوا: نعم.

قال: فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد.

فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبّاً لك.

فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾[١] (سورة المسد: ١، ٢)

(وخرج أبو لهب عن إجماع بنى هاشم فى حمايتهم للنبى ﷺ رغم عدم إيمانهم كلهم بدعوته حينها وحالف قريشا عليهم، وزاد الطين بلة أن أمر ابنيه وكانا قد خطبا بنتى رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم رضى الله عنهما أن يطلقاهما قبل الدخول بهما، وذلك حتى يؤذى رسول الله ﷺ فى بناته.

واشترك أبو لهب فى المؤامرة على قتل النبى ﷺ يوم الهجرة، ويوم بدر الكبرى لم يستطع أبو لهب الخروج مع قريش وأخرج عنه رجلا من قريش على نفقته، فلما جاءه نبأ هزيمة قريش ومقتل أبى جهل وصناديد الكفر فى المعركة حزن حزناً شديداً، وأصابته «العدسة» وهو مرض معدى مثل الطاعون، حتى تركه أهله وأولاده فى بيته حتى مات به وظل ثلاثة أيام حتى انتن، لا يستطيع أحد الاقتراب من منزله، ولم يدفنه ولداه حتى جاءهم رجل من قريش فقال لهما ويحكما، ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن فى بيته ألا تدفنانه؟

فقالا: إنا نخشى عدوة هذه القرحة.

فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه.

فجاءوا فقذفوا عليه الماء من بعيد، ثم احتملوه إلى أعلى مكة جراً بالحبال تجره العبيد ثم ألقوا عليه الحجارة.

وهكذا كانت نهايته مثل أى طاغية كافر بالله عز وجل.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه.

أما امرأته أم جميل واسمها أروى بنت حرب بن أمية وهى أخت أبى سفيان بن حرب، وشاركت زوجها أبا لهب عداوته للنبى ﷺ والإسلام والمسلمين، وكانت تضع الشوك والأذى فى طريق رسول الله ﷺ، كانت تطرحه فى الليل أمام منزله وعلى الطريق، وكانت تمشى بالنميمة بين الناس وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ كما قال أهل التفسير إن العرب تقول: فلان يحطب على فلان إذا نَمَّ به.

وقال سعيد بن جبير: حمالة الحطب أى أنها حمالة الخطايا والذنوب، وقال ابن كثير: يعنى تحمل الحطب فتلقى على زوجها ليزداد على ما هو فيه فتكون يوم القيامة عوناً عليه فى عذابه فى نار جهنم(١).

ولما نزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (سورة المسد)، أقبلت أم جميل ولها ولولة وفى يدها حجر وهى تقول: مذمما أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا، وتوجهت إلى المسجد الحرام حيث كان يجلس رسول الله ﷺ وبجواره أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فلما رآها أبو بكر قال:

يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك، فقال رسول الله ﷺ: إنها لن ترانى، وقرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾(٢).

فأقبلت حتى وقفت على أبى بكر، ولم تر رسول الله ﷺ، فقالت: يا أبا بكر، إنى أُخبرت أن صاحبك هجانى(٣).

قال: لا ورب البيت ما هجاك.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير.

(٢) سورة الإسراء: ٤٥.

(٣) كانت تظن ان آيات الله هى شعر هجاء من تاليف النبى ﷺ.

فولت وهى تقول: قد علمت قريش أنى ابنة سيدها.

وقد أقسم أبو بكر الصديق وهو صادق لأن الرسول ﷺ لم يهج أم جميل، لأن الكلام هو كلام الله عز وجل وهو ليس هجاء كما تظن هى، وقد حال الله بينها وبين الرسول ﷺ، فأرسل ملك يستره حتى ولت.

وهلكت أم جميل بالحبل الذى كان فى عنقها، فبينما هى تحمل حطبها لإيذاء المسلمين وجلست تستريح، جذبها الملك من خلفها فخنقها الله تعالى بحبلها فماتت.

وينتظرها عذاب الله المقيم يوم القيامة. كما أخبرنا بذلك ربنا عز وجل فى سورة المسد، فهى حمالة الحطب فى النار كما كانت فى الدنيا.

(٣٢) مصرع عتيبة بن أبى لهب

هو ابن أبى لهب وأم جميل، كان قد تزوج ابنة رسول الله ﷺ «أم كلثوم» ولم يدخل بها، فلما بُعث الرسول ﷺ وكفر بدعوته أبو لهب وأم جميل وابنهما ونزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أمر أبو لهب ابنه عتيبة فطلق أم كلثوم رضى الله عنها كى يؤذى بذلك النبى ﷺ وكذلك فعل أخوه عتبة أيضاً، فقد قال لهما أبو لهب:

رأسى من رأسيكما حرام إن لم تطلقا ابنتى محمد.

واستجاب الابنان لأبيهما فطلق عتبة[١] رقية رضى الله عنها، وأما عتيبة فقد زاد على الطلاق أن آذى الرسول ﷺ.

فقد جاء عتيبة إلى الرسول ﷺ: قائلاً له كفرت بدينك وفارقت ابنتك، لا تجيئنى ولا أجيأك.

ثم سطا على النبى ﷺ فشق قميصه، فقال الرسول ﷺ: أما أنى أسأل الله أن يسلط عليك كلبه.

وفى رواية قال: اللهم ابعث إليه كلباً من كلابك[٢].

وفى رواية أن عتيبة بن أبى لهب قد تفل فى وجه النبى ﷺ فدعا عليه

---

(١) أسلم عتبة بن أبى لهب فيما بعد وكذلك أخوه معتب. وذلك يوم فتح مكة المكرمة.

(٢) رواه ابن عساكر.

«اللهم سلط عليه كلباً من كلابك»، وكان عمه أبو طالب حاضراً فوجم لذلك وقال: ما كان أغناك يا ابن أخى عن هذه الدعوة.

فرجع عتيبة إلى أبيه وأخبره، فقال أبو لهب لابنه: يا بنى ما قلت له؟

فذكر ما قال له، وقال: فما قال لك؟

قال: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك.

قال أبو لهب: يا بنى والله ما آمن عليك دعاءه(١).

ولم يمض وقت كبير، فقد خرج أبو لهب وابنه عتيبة فى رحلة تجارة إلى الشام، فنزلوا إلى صومعة راهب، فقال الراهب لهم: يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد، فإنها تسرح الأسد فيها كما تسرح الغنم.

فقال أبو لهب لمن معه من فتيان قريش:

إنكم قد عرفتم كبر سنى وحقى، وإن هذا الرجل - يقصد النبى ﷺ - قد دعا على ابنى دعوة، والله ما آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة، وافرشوا لابنى عليها، ثم أفرشوا حولها.

ففعلوا ما أمرهم به أبو لهب، فأجمعوا متاعهم إلى جانب صومعة الراهب، إلا أن الأسد جاء فى الليل، فشم وجوه القوم حتى انقض على عتيبة وحده وهو فوق المتاع فقتله شر قتلة.

فقال أبو لهب حين رأى مصرع ابنه:

قد عرفت أنه لا يفلت من دعوة محمد.

وهكذا شدخت الرأس التى بصقت على وجه أشرف الخلق ﷺ.

(١) انظر تفسير ابن كثير والقرطبى - سورة النجم.

(٣٣، ٣٤) مصرع أبى رغال الأول وأبى رغال الثانى

ذكر اسم «أبو رغال» فى التاريخ مرتين لرجلين فى عصرين مختلفين الأول هو أبو رغال وهو من قوم ثمود قوم صالح عليه السلام، والثانى هو «أبو رغال» وهو رجل من ثقيف كان دليل جيش أبرهة وهو فى طريقه إلى مكة لهدم الكعبة المشرفة.

فأما «أبو رغال الأول» فجاء ذكر مصرعه فيما رواه أحمد فى المسند عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: لما مر رسول الله ﷺ «بالحجر»[١].

قال: لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت ترد من هذا الفج[٢]، «فعتوا عن أمر ربهم فعقروها» وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً، فعقروها فأخذتهم الصيحة، أهمد الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان فى حرم الله.

فقالوا: ما هو يا رسول الله؟

قال: هو «أبو رغال»، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه.

(١) وهو اسم المكان الذى سكنت فيه قبيلة ثمود وهم الذين عقروا الناقة.

(٢) يقصد الناقة.

وهكذا كانت نهاية أبى رغال الأول أصابه ما أصاب قومه، رغم أنه كان فى مكان غير مكانهم، فقد حماه البيت الحرام حتى إن خرج منه هلك.

ومن حديث مرسل ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية أن النبى ﷺ مر بقبر أبى رغال فقال: أتدرون من هذا؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: هذا قبر أبى رغال، رجل من ثمود، كان فى حرم الله فأمن من عذاب الله، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا، ودفن معه غصن من ذهب. فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم فبحثوا عنه فاستخرجوا الغصن(١).

وأما أبو رغال الثانى وكان فى زمن أصحاب الفيل وهو من قبيلة ثقيف، فقد مر أبرهة الحبشى بهم وهو فى طريقه إلى مكة، فبعثت ثقيف معه «أبو رغال» يدله على الطريق.

فخرج «أبو رغال» دليلاً لأبرهة حتى أنزله «المغمس» على بعد ثلثى فرسخ من مكة، ومات أبو رغال هناك، ولما هلك أبرهة وجيشه رجم العرب قبره (قبر أبى رغال).

وقال ابن كثير فى البداية والنهاية: الجمع بين هذا وبين ما ذكره ابن اسحاق أن أبا رغال هذا المتآخر - أى الثانى - وافق اسمه اسم جده الأعلى ورجم الناس قبره كما رجموا قبر الأول أيضاً، والله أعلم.

(١) الحديث ذكره ابن كثير وقال مرسل من هذا الوجه وذكر مثله ابن اسحاق فى السيرة النبوية ورواه أبو داود أيضاً.

(٣٥) مصرع ونهاية عقبة بن أبى معيط

إذا كان عتيبة بن أبى لهب عليه اللعنة قد تفل على وجه النبى ﷺ فنال جزاءه ومزقه الأسد كما ذكرنا، فقد فعل الشقى الآخر عقبة بن أبى معيط عليه اللعنة أكثر من ذلك، فماذا فعل وماذا كانت نهايته وجزاؤه؟.

إنه عقبة بن أبى معيط كفر بما أنزل على محمد ﷺ وآذاه أشد الأذى، فجاءه يوماً وهو ساجد لله يصلى أمام الكعبة، فوضع عقبة لعنه الله قدمه على رأس النبى ﷺ حتى كادت عينا النبى ﷺ أن تخرجا من رأسه.

وفى يوم آخر والنبى يصلى أمام الكعبة المشرفة وكفار مكة جلوس يتسامرون وقد غاظهم أن يصلى الرسول ﷺ لربه أمامهم.

فقالوا: أيكم يجئ بسلا جزور - أحشاء البعير أو جلده بعد سلخه - فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟!

فقام عقبة بن أبى معيط وتطوع للقيام بهذه المهمة القذرة، فجاء بسلا الجزور ووضعه على ظهر الرسول ﷺ وهو ساجد، والكفار يضحكون والرسول ﷺ لا يرفع رأسه حتى جاءت ابنته فاطمة رضى الله عنها وكانت صغيرة السن، فطرحت عن أبيها الأذى، ثم توجهت إلى الكفار فأغلظت لهم القول، ورفع الرسول ﷺ رأسه إلى السماء ودعا ربه قائلاً: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات «اللهم عليك بأبى جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبى معيط.

فقتلوا جمعهم يوم بدر الكبرى وطرحوا فى القليب(١).

وقد ذكر القرطبى فى تفسيره عن الضحاك: أن عقبة بن أبى معيط عليه اللعنة بصق فى وجه الرسول ﷺ ذات يوم، وأن بصاقه رجع إليه وأصابه فى وجهه وشفتيه فأصابهما بالحرق والشوى حتى أثر فى وجهه وأحرق خديه وذلك فى مكة قبل الهجرة.

وأما عن نهاية هذا الشقى عقبة بن أبى معيط عليه اللعنة فكانت بعد أن وقع أسيراً يوم بدر الكبرى بعد مقتل أصحابه فى المعركة وقد أسره الصحابى عبد الله بن سلمة الأنصارى رضي الله عنه، وعند عودة الجيش المسلم إلى المدينة وعند منطقة «عرق الظبية» على بعد ثلاثة أميال من المدينة أمر النبى ﷺ أن يقتل عقبة بن أبى معيط صبراً بأن توثق يداه إلى عنقه ويجلس وتضرب عنقه وفى هذا إذلال لمن يفعل به ذلك، وحين سمع عقبة بن أبى معيط بحكم القتل صرخ وقال:

- علام أقتل بين الأسرى؟!.

قال له الرسول ﷺ: على عداوتك لله ورسوله.

فقال: فمن للصِّبْيَة يا محمد؟

قال ﷺ: لهم النار.

ثم أوضح الرسول ﷺ للمسلمين من الأنصار وغيرهم من الذين لا يعرفون، ماذا فعل عقبة بن أبى معيط! نعم، أتدرون ما صنع هذا بى؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقى وغمزها، فما رفعها حتى ظننت أن عينى ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا جزور فألقاها على رأسى وأنا ساجد، فجاءت فاطمة ورفعته عن رأسى(٢). فقتله عاصم بن ثابت وقيل على ابن أبى طالب رضى الله عنهما.

(١) انظر القصة فى صحيح البخارى.

(٢) انظر الطبرانى فى الكبير والقرطبى فى تفسيره والسيرة النبوية لابن هشام وقتل معه صبراً أيضاً النضر بن الحارث وطعيمة بن عدى.

(٣٦) مصرع المفترى على الله ورسوله

ذكر البخارى ومسلم فى صحيحيهما أن رجلاً نصرانياً أسلم فى عهد النبى ﷺ، وكان يكتب له القرآن المنزل عليه، وقرأ سورة البقرة وآل عمران، ثم ارتد عن الإسلام وعاد نصرانياً كما كان، وزاد على ذلك افتراء على الله ورسوله ﷺ فقال: ما يدرى محمد إلا ما كتبت له!!.

فمات هذه الرجل وجاء خبره إلى النبى ﷺ فقال: إن الأرض لا تقبله.

فحفروا له، فواروه، فأصبحت الأرض وقد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له، فواروه، فأصبحت الأرض وقد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له، فواروه فأصبحت الأرض وقد نبذته على وجهها، فتركوه منبوذاً.

قال أنس رضي الله عنه: فأخبرنى أبو طلحة أنه أتى الأرض التى ماتت فيها، فوجده منبوذاً.

قال أبو طلحة: ما شأن هذا؟!

فقالوا: قد دفناه مراراً، فلم تقبله الأرض، وفى رواية قالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم، فألقوه خارج القبر، فحضروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس، فألقوه.

وهكذا كان جزاء من افترى كذباً وكفر بعد ما علم الحق وآمن به.

(٣٧) نهاية ابن قميئة

إنه عبد الله بن قميئة عدو الله ورسوله، خرج مع المشركين يوم غزوة أحد لحرب المسلمين، وفى غمار المعركة رمى بن قميئة رسول الله ﷺ بحجر فجرحه فى وجهه وقال:

خذها منى وأنا ابن قميئة.

فقال ﷺ له: أقمأك الله.

فانصرف ابن قميئة بعد انتهاء المعركة إلى أهله، فخرج إلى غنمه فوافاها على ذروة الجبل، فدخل فيها فشد عليه تيسها ـ ذكر الغنم ـ فنطحه نطحة أرداه قتيلا من شاهق الجبل فتقطع وهلك شر قتله.

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه: أن عبد الله بن قميئة جرحه فى وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته ﷺ(١).

وعند الطبرانى عن أبى أمامة رضي الله عنه قال: رمى عبد الله بن قميئة رسول الله ﷺ يوم أحد، فشج وجهه وكسر رباعيته، فقال: خذها وأنا ابن قميئة.

فقال له رسول الله ﷺ: وهو يمسح الدم عن وجهه: ما لك أقمأك الله.

فسلط الله عليه تيس جبل، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة.

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام.

(٣٨) نهاية أشر الناس

أحد زعماء الكفر والشرك بمكة الذين حاربوا الله ورسوله وصدوا عن سبيل الله، إنه أُبَىٌّ بن خلف من أشر خلق الله، أراد أن يقتل الرسول ﷺ فكان إذا لقيه بمكة قبل الهجرة يقول له: يا محمد، إن عندى العوذ، فرساً أعلفه فى كل يوم فرقاً من ذرة، أقتلك عليه. فيقول له رسول الله ﷺ: بلى أنا أقتلك إن شاء الله.

وفى غزوة أحد جاء أُبَىٌّ بن خلف على فرسه يريد أن يوفى بوعده ويقتل رسول الله ﷺ.

يقول ابن إسحاق فى السيرة: لما أسند رسول الله ﷺ فى الشّعب أدركه أُبَىٌّ بن خلف وهو يقول: لا نجوتُ إن نجوتَ.

فقال القوم: يا رسول الله، يعطف عليه رجل منا.

فقال رسول الله ﷺ: دعوه.

فلما دنا منه، تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، فقال بعض القوم، فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض انتفاضة تطاير عنه، تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله رسول الله ﷺ، فطعنه فى عنقه فتدأدأ(١) منها مراراً.

(١) انظر البداية والنهاية ـ وتدأدأ أى اشد فى العدو.

فلما رجع إلى قومه، وقد خدش خدشاً غير كبير، قال: قتلنى والله محمد.

قالوا له: ذهب والله فؤادك ما بك من بأس.

قال: إنه قد كان قال بمكة: أنا أقتلك فوالله لو بصق علىَّ لقتلنى.

وبالفعل مات هذا الشرير وهو فى طريق العودة من الخوف والرعب والهلع الذى أصابه، ولم يخرج منه نقطة دم من أثر الطعنة التى طعنه بها الرسول ﷺ، وكان بذلك من أشد الناس عذاباً يوم القيامة لأن قتله كان على يد رسول الله ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: «أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيّاً أو قتله نبى، أو رجل يضل الناس بغير علم، أو متصور يصور التماثيل»(١).

قلت: وهكذا أقر هذا الكافر نبوة ورسالة النبى ﷺ ولكن العناد ومتابعة قومه من المشركين والتعصب الذميم الذى أورده النار والعياذ بالله، لذا فإن المؤمن يسأل ربه أن يكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

(١) رواه أحمد فى المسند والطبرانى وهو حديث صحيح.

(٣٩) مصرع العاص بن وائل

مازلنا مع أئمة الكفر من قريش الذين حاربوا الله ورسوله بمكة، إنه العاص بن وائل الذى أخذ عظاماً بالية من بطحاء مكة وقال لرسول الله ﷺ وهو يفتتها بيده:

أيحيى الله هذا بعد ما أرم؟!.

فقال له ﷺ: نعم، ويميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم(١).

ونزلت الآيات من أواخر سورة يس ترد عليه وتكذبه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

وروى البخارى عن مسروق عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: كنت قيناً - يصنع السيوف - فى الجاهلية وكان لى على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد.

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأرم أى تحلل: وقال بعض المفسرين إن الآيات من أواخر سورة يس نزلت فى أُبَيّ بن خلف حين جاء بعظم بال رميم لرسول الله ﷺ وهو يذروه فى الهواء ويقول ساخراً: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا بعد ما قد رم؟

فقال: نعم ويدخلك النار.

ومن الممكن أن يكون قد تكرر الأمر من الاثنين، انظر تفسير ابن كثير.

فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث.

قال: دعنى حتى أموت وأبعث فسأوتى مالاً وولداً، فأقضيك.

فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (سورة مريم ٧٧-٧٨).

وقد لقى مصرعه حين ألقت به دابته على الأرض فوقع على الأرض وهلك.

وكان هلاكه قبل غزوة بدر الكبرى، ورغم كفره وعناده ومحاربته للإسلام والمسلمين إلا أن أبناءه قد أسلموا وحسن اسلامهم ومنهم عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان موت العاص عظة وعبرة فقد ألقته الدابة من على ظهرها وكأنها لم تتحمله وكفره فهلك من فوره، وصدق فيه قوله ﷺ: نعم ويميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم.

فقد كان العاص من المستهزئين عليهم لعنة الله.

(٤٠) نهاية مدعى النبوة الكذاب

إنه كذاب اليمامة الشهير، مسيلمة الكذاب مدعى النبوة فى أواخر عهد رسول الله ﷺ الذى ادعى أن الوحى نزل عليه من السماء قرآن مثل النبى ﷺ وحاكى القرآن الكريم وأخذ يهذي بكلمات تدعو إلى السخرية والضحك ويدعى أنها قرآن مثل قوله: يا ضفدع بنت الضفدعين، نقى كما تنقين، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين، رأسك فى الماء وذنبك فى الطين.، وقوله: «والمبذرات زرعاً والحاصدات حصداً والذاريات قمحاً والطاحنات طحناً والخابزات خبزا، والثاردات ثردا، واللاقمات لقماً، إهالة وسمناً، لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر..»

إلى غير ذلك من الترهات، وكل كلماته من وحى شيطانه المريد، ومنها أيضاً «والفيل، وما أدراك ما الفيل له زلوم طويل!!».

وأراد أن يظهر كراماته ومعجزاته وأن يضاهى ويتشبه بما فعله الرسول ﷺ حين بصق فى عين أحد الصحابة فى عينيه رمداً فصح وأصبح سلماً، فدعا رجلاً أصابه رمد فى عينيه فمسحهما فعمى الرجل!!.

وقد ظهر مسيلمة الكذاب فى أواخر عهد النبى ﷺ وجاء المدينة مع وفد قومه ولم يسلم معهم، وطلب من رسول الله ﷺ أن يجعل له النبوة بعده فكان رد الرسول ﷺ: لو سألتنى هذا العود وما أعطيتكه ولئن أدبرت ليعقرنك الله، إنى لأراك الذى أريت فيه ما أريت.

وكان الرسول ﷺ قد رأى فى المنام كأن فى يديه سوارين من ذهب، فأهمه شأنهما، فأوحى الله إليه فى المنام: انفخهما، فنفخهما فطارا، فأولهما بكذابين يخرجان، وهما صاحب صنعاء - الأسود العنسى - وصاحب اليمامة مسليمة الكذاب.

وقد كتب مسليمة الكذاب رسالة إلى الرسول ﷺ قال فيها: من مسليمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك.

أما بعد. فإنى قد اشتركت معك فى الأمر، فلك المدر ولى الوبر، ولكم نصف الأرض ولنا نصفها ولكن قريشاً قوم يعتدون.

فرد عليه الرسول ﷺ

من محمد رسول الله ﷺ إلى مسليمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين(١).

وبعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وتولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه خلافته ﷺ، خرج عليه مسليمة الكذاب هذا وقومه من أهل اليمامة الذين ارتدوا عن الإسلام، فحاربهم الخليفة أبو بكر الصديق وأرسل إليهم جيشاً بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه، فحاربهم فى معركة اليمامة الشهيرة وقتل مسليمة الكذاب فى حديقته على يد وحشى الحبشى وهلك وانتهى أمره وعاد أهل اليمامة إلى الإسلام(٢).

(١) رواه البخارى.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير.

(٤١) نهاية قاتل نفسه

نهى الله عز وجل عن قتل الإنسان نفسه فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ (سورة النساء: ٢٩).

وقال ﷺ: «من قتل نفسه بشىء فى الدنيا عُذب به يوم القيامة.».(١)

ويروى أبو هريرة رضي الله عنه فيقول: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر، فقال رسول الله لرجل من المسلمين: هذا من أهل النار. فلما بدأت المعركة واشتد القتال أصيب الرجل وكثرت به الجراح، فجاء رجل من اصحاب النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت الرجل الذى تُحدِّث أنه من أهل النار، قد قاتل فى سبيل الله من أشد القتال، فكثرت به الجروح.

فقال ﷺ: أما إنه من أهل النار.

فكاد بعض المسلمين يرتاب، فيما هو على ذلك، إذ وجد الرجل ألم الجراح، فأهوى بيده إلى كنانته، فانتزع منها سهما. فانتحر به، فذهب رجال من المسلمين إلى رسول الله ﷺ فقالوا:

يا رسول الله، صدق الله حديثك، قد انتحر فلان، فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ: يا بلال، قم فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله ليؤيد

(١) أخرجه البخارى ومسلم وأحمد.

هذا الدين بالرجل الفاجر».(١)

قلت: وقوله ﷺ: وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر دليل على أن الرجل كان يقاتل حمية ودفاعا عن قومه وليس لنصرة دين الله لعلو كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولذلك حين خرج واشتد عليه حرجه قتل نفسه، وقد نهى الله ورسوله ﷺ عن قتل الإنسان لنفسه لأى سبب كان وإن قاتل النفس فى النار يعذب بما فعله من قتله نفسه بأى طريقة قتل بها نفسه، ويضافا إلى ذلك كونه كافراً أو منافقاً، فيكون العذاب أشد، والله أعلم.

(١) أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما، وقد ذكر أهل التاريخ أن هذا الرجل يقال له: قزمان، وكان يقاتل مع المسلمين حمية لقومه وليس نصرة لدين الله، قال ابن الجوزى رحمه الله: اسم الرجل قزمان الظفرى، وكان قد تخلف عن المسلمين يوم أحد، فعيره النساء، فخرج حتى صار فى الصف الأول، فكان أول من رمى بسهم، ثم صار إلى السيف ففعل العجائب، فلما انكشف المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول: الموت أحسن من الفرار، فمر به قتادة بن النعمان وجعل يقول له: هنيئاً لك بالشهادة.

فقال قزمان له: والله إنى ما قاتلت عن دين، وإنما قاتلت على حسب قومى.

ثم أقلقته الجراحة فقتل نفسه.

قلت: وهذا معنى قوله ﷺ عن الرجل إنه من أهل النار، وذلك قبل أن يقتل نفسه، فقد كان قزمان منافقاً ولم يكن مسلماً، فزاد على كفره أنه قتل نفسه، وقد جاء فى الحديث القدسى الذى أخرجه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم قال رسول الله ﷺ: إن رجلاً ممن كان قبلكم خرجت به قرحة فلما آذته أنتزع سهماً من كنانته، فنكأها - أى خرق الجرح - فلم يرقأ الدم - أى لم ينقطع - حتى مات، فقال الله تعالى: بادرنى عبدى بنفسه، حرمت عليه الجنة.».

(٤٢) مصرع عبيد الله بن زياد

هو أحد ولاة بنى أمية، إنه عبيد الله بن زياد بن عبيد واشتهر بابن زياد، تول إمارة البصرة عام ٥٥ هـ، أمره الخليفة الأموى الثانى يزيد بن معاوية بالتصدى للحسين بن على رضى الله عنهما حين خرج عليه ملبياً بيعة أهل العراق له.

واستطاع ابن زياد أن يرهب أهل العراق فلم يخرجوا لنصرة الإمام الحسين ومن معه، وضيق عليه وحاصره فى كربلاء وأرسل إليه جيشاً بقيادة عمر بن سعد بن أبى وقاص لقتاله، وأصر ابن زياد على قتال الحسين رضي الله عنه أو أن يسلم نفسه ويحضر إليه ثم يرسله إلى الخليفة بدمشق.

وأبى الحسين رضي الله عنه أن يُأخذ أسيراً لابن زياد ليقضى فيه بما يراه، وقاتل الحسين ومن معه من أنصاره فى كربلاء جيش ابن زياد وانتهى الأمر بقتل الحسين واستشهاده هو ومن معه، وأمر ابن زياد بقطع رأس الحسين وإحضاره إليه ثم أرسلها إلى يزيد بن معاوية ومع الرأس الشريف بقية أهل البيت على رأسهم السيدة زينب بنت على بن أبى طالب رضى الله عنهما.

وبعد أن هلك يزيد بن معاوية، بايع أهل الشام مروان بن الحكم، وبايع أهل العراق ومكة والمدينة عبد الله بن الزبير بالخلافة، وانضم ابن زياد إلى معسكر مروان بن الحكم الذى ولاه العراق، إلا أن المختار بن أبى عبيد الثقفى قد خرج فى جيش لقتال قتلة الحسين فى كربلاء، فقابل ابن زياد وجيشه

على شاطئ نهر الخازر بالقرب من الموصل وانتصر جيش المختار الثقفى على جيش ابن زياد.

وظفر إبراهيم بن الأشتر النخعى قائد جيش المختار الثقفى بابن زياد فقتله شر قتلة على شاطئ نهر الخازر وكان ذلك يوم عاشوراء وهو مثل اليوم الذى استشهد فيه الإمام الحسين، واحتز ابن الأشتر رأس ابن زياد وأرسلها إلى المختار الثقفى ونصبت رأسه ومن معه حيث نصب رأس الحسين رضي الله عنه.

ويذكر أهل التاريخ عن يزيد بن أبى زياد قال: لما جيء برأس ابن زياد وأصحابه طرحت بين يدى المختار، فجاءت حية دقيقة، ثم تخللت الرءوس حتى دخلت فى فم ابن زياد، وخرجت من منخره وخرجت من فمه وجعلت تدخل وتخرج من رأسه بين الرءوس(١).

(١) وكان ذلك فى نفس القصر الذى سكن ابن زياد وجيء برأس الحسين رضي الله عنه فيه.

(٤٣) نهاية خولى الأصبحى

خولى بن يزيد الأصبحى دخل التاريخ من أسوأ أبوابه، فهو الشقى الذى تجرأ وقطع رأس الشهيد الحسين بن على رضى الله عنهما يوم كربلاء، واعتقد أن ذلك بطولة وطاعة لولى الأمر، ونسى هذا الأحمق أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وأنه بفعله هذا آذى الله ورسوله أشد الإيذاء، ولن ينفعه رضا ابن زياد عليه أو رضا الخليفة يزيد بن معاوية ولا رضا أهل الأرض كلهم عليه.

لقد خاب وخسر ونال جزاءه فى الدنيا أما الآخرة فينتظر عذابا آخر، عذابا أليما.

ففى الدنيا سلط الله على قتلة الحسين رضي الله عنه المختار الثقفى فقام بقتل كل من اشتركوا فى قتل الحسين، أرسل المختار الثقفى قائد حرسه مع جنوده إلى منزل خولى الأصبحى حتى أحاطوا بدار خولى الأصبحى، فاختبأ الأصبحى فى دار فأمر قائد الحرس بهدم الدار على من فيه فخرجت امرأته فسألوها، فقالوا: أين زوجك؟ فقالت المرأة: لا أدرى أين هو.؟

أشارت بيدها إلى المكان الذى هو مختف فيه.

وكانت الزوجة تكره زوجها من يوم جاء برأس الحسين رضي الله عنه معه، فدخلوا عليه فوجدوه قد وضع رأسه كما يوضع التمر فى الخوص، فحملوه إلى المختار، فأمر بقتله قريباً من داره وأن يحرق بعد ذلك، وبالفعل قاموا بقتله وحرقه حتى صار رماداً وانصرفوا.(١)

(١) تاريخ الطبرى.

(٤٤، ٤٥، ٤٦) المختار الثقفى وثلاثة من قتلة الحسين رضي الله عنه

ثلاثة من الذين اشتركوا فى قتل الحسين رضي الله عنه أمكن الله منهم، وهم مالك بن النسير البدى، وأسيد بن النزال الجهنى وحمل بن مالك المحاربى.

بعث المختار الثقفى أحد قواده وهو أبو نمران مالك بن عمرو النهدى، فأتى بهم من القادسية، فقبض عليهم وأقبل بهم فدخلوا على المختار الثقفى بالليل، فقال لهم المختار:

يا أعداء الله، وأعداء كتابه وأعداء رسوله وآل رسوله، أين الحسين بن على؟! أدوا إلىَّ الحسين، قتلتم من أمركم بالصلاة عليه فى الصلاة(١).

فقالوا له رحمك الله، بُعثنا ونحن كارهون، فامنن علينا واستبقنا.

أرادوا العفو والصفح عنهم لأنهم كانوا فى طاعة ولى الأمر ونسوا أنه لا طاعة فى معصية الله حتى لو كانت الطاعة لولى الأمر.

فقال لهم المختار: فهلا مننتم على الحسين ابن بنت نبيكم واستبقيتموه وسقيتموه.

---

(١) يقصد أن المسلم فى صلاته يقول فى التشهد الأخير «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم......»

وتلك إشارة من المختار لهم بأن قتلهم للحسين رضي الله عنه لا يستوجب المن والعفو عنهم لأنه كان منهم أولى على الحسين رضي الله عنه الذى منعوا شربه الماء قبل قتله.

ونظر المختار لمالك بن نسير البدى وقال له: أنت الذى نزعت برنس الحسين عنه؟!.

فلم يجب، وأجاب أحد أتباع المختار وهو عبد الله بن كامل: نعم، هو هو.

فقال المختار لجنوده: اقطعوا يدى هذا ورجليه، ودعوه فليضطرب حتى يموت.

ففعلوا به ذلك فقطعوا يديه وتركوه ينزف حتى الموت.

وأمر المختار بالأخيرين فضرب عنقيهما وانتهى أمرهم، جزاءً وفاقاً(١).

(١) انظر المصدر السابق.

(٤٧، ٤٨) مقتل عثمان الدهمانى وبشر القابضى

مازلنا مع المختار الثقفى وتعقبه لقتلة الحسين رضي الله عنه، فأرسل جنودا للقبض على اثنين منهما وهما عثمان بن خالد بن أسير الدهمانى من جهينة وإلى أبى أسماء بشر بن سوط القابضى فأحاط جنود المختار بقيادة عبدالله بن كامل بهما عند العصر بمسجد بنى دهمان، وهدد الجنود بنى دهمان إلا أن يأتوا بهما، فوجدوهما مختبئين فى الجبانة يريدان الهرب، فألقى القبض عليهما ومثلا أمام المختار فقال:

الحمد لله الذى كفى المؤمنين القتال، لو لم يجدوا هذا مع هذا عناناً إلى منزله فى طلبه، فالحمد لله الذى أمكن منك.

وأمر بهما فخرج بهما حتى إذا كان عند «بئر الجعد» فضربت عناقهما.

ولم يكتف المختار بقتلهما وقال:

ـ لا يدفنان حتى يحرقا(١).

(١) المصدر السابق.

(٤٩) نهاية زيد الرقاد

وأرسل المختار إلى رجل آخر من قتلة الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو زيد بن الرقاد الذى كان يقول مفتخراً: لقد رميت فتى منهم بسهم وإنه لواضع كفه على جبهته يتقى النبل فأثبت كفه فى جبهته، فما استطاع أن يزيل كفه عن جبهته.

وكان ذلك الذى أشار إليه زيد بن الرقاد هو عبدالله بن مسلم بن عقيل من أبناء عمومة الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكان معه يقاتل عنه ومعه، فقال مسلم وقد أثبت كفه فى جبهته:

ـ اللهم إنهم استقلونا، واستذلونا، اللهم فاقتلهم كما قتلونا، وأذلهم كما استذلونا.

فرماه ابن الرقاد بسهم آخر فقتله، وكان يقول إنى جئته ميتاً فنزعت سهمى الذى قتلته به من جوفه، فلم أزل أتفنض السهم ـ أى أحركه لأخرجه ـ من جبهته حتى نزعته، وبقى النصل فى جبهته مثبتاً ما قدرت على نزعه.

واستجاب الله دعاء عبد الله بن مسلم بن عقيل، وأمكن الله من قاتله وجاء جنود المختار بقيادة عبد الله الشاكر وأحاطوا بداره واقتحم عليه الرجال، فخرج شاهراً سيفه فقال الشاكرى لجنوده: لا تضربوه بسيف، ولا

تطعنوه، ولكم أرموه بالنيل، وأرجموه بالحجارة.

ففعلوا ذلك به فسقط صريعاً على الأرض، فقال لهم الشاكرى: إن كان به رمق فأحرقوه. فوجدو له رمق من حياة فجاءوا به إليه فدعا بنار وأحرقه بها وهو حى حتى هلك وصار رماداً(١).

(١) المصدر السابق.

(٥٠) مصرع عمرو بن صبيح

اشترك عمرو بن صبيح فى الجيش الذى قتل الحسين رضي الله عنه وكان يفاخر بذلك ويقول:

طعنت بعضهم، وجرحت فيهم، وما قتلت منهم أحداً.

فأرسل إليه المختار الثقفى جنوده ليلاً وهو على سطح داره، بعد أن هدأت العيون، ولم يشعر بهم، فأمسكوا به واقتيد إلى المختار، فحبسه فى قصره، فلما أصبح أذن لأصحابه بإحضاره وإدخال الناس، فجىء به مقيداً فى اغلاله، فقال عمرو بن صبيح لهم:

ـ أما والله يا معشر الكفرة الفجرة، لو بيدى سيفى لعلمتم أنى بنصل السيف غير رعش ولا رعديد، ما يسرنى أن كانت منيتى قتلاً أنه قتلنى من الخلق أحد غيركم، لقد علمت أنكم شرار الخلق عند الله، غير أنى وددت أن بيدى سيفاً أضرب به فيكم ساعة. ثم رفع يده وضرب بها ابن كامل أحد أتباع المختار وكان بجواره، فضحك ابن كامل، ثم أخذ بيده وأمسكها، ثم قال: إنه يزعم أنه قد جرح فى آل محمد وطعن، فمرنا بأمرك فيه.

فقال له المختار علىَّ بالرماح.

فأتوا له بالرماح، فقال: اطعنوه حتى يموت، فطعنوه بالرماح حتى مات وهلك(١).

(١) المصدر السابق.

(٥١) مصرع عمر بن سعد بن أبى وقاص

عمر بن سعد بن أبى وقاص قائد السرية التى قتلت الحسين رضي الله عنه، هو ابن الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه.

لقد كان حرياً بالمختار الثقفى حين خرج على الكوفة للقصاص من قتلة الحسين رضي الله عنه أن يكون عمر بن سعد فى أول قائمة المطلوبين لديه، فاستجار عمر بن سعد بأحد أصدقاء المختار وهو عبدالله بن جعدة بن هبيرة، فاستجاب له ابن جعدة وطلب من المختار أن يعطى عمر بن سعد الأمان، فقال له المختار:

إنه آمن على نفسه وأهله وماله ما أطاع ولزم رحله ومصره - بلده - مالم يحدث حدثا.

وكان هذا الأمان المشروط من المختار خدعة واستهزاءً بعمر بن سعد، لأنه قال فى أمانه «مالم يحدث حدثا» وكان يقصد بذلك مالم يتبول أو يتغوط!!.

ولما جاءت الأخبار إلى عمر بن سعد أن المختار سيقتله لا محالة، عزم على الهرب منه، فعلم المختار فقال: وأى حدث أعظم من هذا؟.

فبعث المختار إليه وقال: هل أنت مقيم على أمانك؟.

ويذكر أصحاب التاريخ أن المختار قال ليلة:

لأقتلن غداً رجلاً عظيم القدمين، غائر العينين، مشرف الحاجبين، يسر بقتله المؤمنون والملائكة المقربون.

وكان الهيثم بن الأسود حاضراً فوقع فى نفسه، أنه أراد عمر بن سعد، فبعث إليه لينذره.

فقال عمر: كيف يكون هذا بعد ما أعطانى من العهود والمواثيق.

وأصبح عمر بن سعد قلقاً، ينتقل من موضع إلى آخر، ثم رجع إلى داره، وقد بلغ المختار انتقاله من موضع إلى آخر، فقال: كلا والله إن فى عنقه سلسلة ترده لوجهه، إن يطير لأدركه دم الحسين، فأخذ برجله.

ثم أرسل إليه أبا عمرة أحد قواده كى يقتله فحاول عمر بن سعد الفرار منه واختبأ فى جبته، فعثر عليه أبو عمرة فضربه بالسيف حتى قتله، وجاء برأسه فى أسفل قبائه حتى وضعه بين يدى المختار الثقفى، وكان ابن عمر بن سعد حاضرا ويدعى حفص فقال له المختار: أتعرف هذا الرأس؟.

فاسترجع حفص بن عمر وقال: نعم ولا خير فى العيش بعده.

فقال له المختار: صدقت.

ثم أمر فضربت عنقه، ووضع رأسه مع رأس أبيه، ثم قال المختار: هذا بالحسين، وهذا بعلى بن الحسين الأكبر، ولا سواء والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله - يقصد الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وبعث المختار برأسيهما إلى محمد ابن الحنفية وهو أخو الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من أبيه(١).

---

(١) المصدر السابق.

(٥٢) نهاية المختار الثقفى الكذاب

المختار بن أبى عبيد الثقفى استولى على الكوفة بعد موت الخليفة الأموى الثانى يزيد بن معاوية، وكان يظهرالولاء لعبد الله بن الزبير حين أعلن نفسه خليفة للمسلمين وبايعه أهل المدينة ومكة والعراق، وأظهر المختار الثقفى التشيع لأل البيت وكون جيشاً للأخذ بثأر الحسين رضي الله عنه والتف حوله جماعات كثيرة من الشيعة، وسيطر المختار على الكوفة بعد أن أخرج منها والى عبد الله بن الزبير، وأرسل إلى ابن الزبير يعتذر له عن طرده لواليه وأظهر له الطاعة.

ثم شرع المختار فى تتبع قتلة الحسين رضي الله عنه وقتلهم شر قتلة وقتل منهم خلقاً كثيراً كما ذكرنا قبلُ، فقد سخره الله لهذه المهمة التى أثلجت صدور المؤمنين.

وما لبث المختار الثقفى أن أدعى النبوة وأن جبريل يأتيه بالوحى، فانصرف الكثير من أتباعه عنه، وأرسل الخليفة عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير على رأس جيش لقتال المختار الثقفى الكذاب مدعى النبوة، فانهزم جيش المختار وتحصن فى قصره أربعة أشهر حاصره فيها مصعب بن الزبير حتى ظفر به وقتله عام ٦٧هـ.

وهكذا انتهى أمر المختار الثقفى بعد أن قضى على قتلة الحسين رضي الله عنه، وكان مقتله بسبب ادعائه النبوة، وقد صدق رسولنا ﷺ: «إنه سيكون فى

ثقيف كذاب ومبير»(١) فأما الكذاب فكان المختار الثقفى الذى أظهر التشيع لآل البيت ثم ادعى النبوة، والمبير هو الحجاج بن يوسف الثقفى الذى جاء من بعده فى عهد عبد الملك بن مروان. فقتل خيار المسلمين ـ عامله الله بما يستحقه.

ومن العجيب أن القصر الذى قتل فيه المختار الثقفى هو نفسه الذى جئ برأس الحسين رضي الله عنه إلى الوالى ابن زياد، وهو الذى جئ فيه برأس ابن زياد للمختار الثقفى، وهو نفسه الذى جئ فيه برأس مصعب بن الزبير أيضاً حين قتله جيش عبد الملك بن مروان، وتلك الأيام نداولها بين الناس، فهل هناك من يتعظ ويعتبر من تلك القصص وتلك الأحداث؟!

إنه لا يتعظ إلا المتقون رحمهم الله تعالى برحمته الواسعة.

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذى، والمبير يعنى كثير القتل.

(٥٣، ٥٤) نهاية مسلم بن عقبة ويزيد بن معاوية

مسلم بن عقبة قائد جيش يزيد بن معاوية الخليفة الأموى، أرسله على رأس جيش من الشام لقتال أهل المدينة المنورة واستباحتها ثلاثة أيام، فكانت كارثة عظيمة سميت بيوم الحرة. قتل فيه الكثير من أبناء الصحابة بل وبعض الصحابة.

وتروى كتب التاريخ أن سبب ذلك هو خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية من الخلافة لفسقه وشربه الخمر وتركه الصلاة وارتكابه المحرمات، وولوا على المدينة من قريش عبدالله بن مطيع وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة وعلى قبائل المهاجرين معقل بن سنان الأشجعى وخلعوا والى المدينة الأموى عثمان بن محمد، وكان ذلك فى زمن الصحابة أمثال ابن عباس وابن عمر وغيرهما.

وبعث يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة النعمان بن بشر كى ينهاهم عما صنعوا من خلعه ويحذرهم غضبه ويأمرهم بالسمع والطاعة ولزوم الجماعة، فقال لهم: إن الفتنة وخيمة ولا طاقة لكم بأهل الشام.

ورفض أهل المدينة إنذار يزيد بن معاوية لهم واجتمعوا على رأى واحد وهو القتال والدفاع عن المدينة.

واعتزل زين العابدين على بن الحسين الناس ومعه ابن عمر ولم يخلعا يزيد.

ونصح ابن عمر رضي الله عنه قومه فقال: أما بعد، فإنا قد بايعنا هذا الرجل - يقصد يزيد - على بيعة الله ورسوله، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة يقال: هذه غدرة فلان»(١) وإن من أعظم الغدر بعد الإشراك بالله تعالى، أن يبايع الرجل رجلاً على الله ورسوله، ثم ينكث بيعته، فلا يخلعن أحد منكم يزيد، ولا يشركن أحد منكم فى هذا الأمر، فيكون صيلم - أى القطيعة - بينى وبينه.

وكان محمد ابن الحنفية ينكر على أهل المدينة اتهام يزيد بن معاوية بأنه لا يصلى ويشرب الخمر ويأتى المحارم لأنه رأى منه خلال إقامته عنده غير ذلك»(٢).

وجاء جيش الشام بقيادة مسلم بن عقبة ودخل المدينة وقتل الكثير من الصحابة وأبناء الصحابة واستباح هذا الرجل المدينة المنورة كما أمره سيده الخليفة ثلاثة أيام، فقتل أشرافها وانتهب أموال الناس ووقع فساد كبير حتى إن الجنود من أهل الشام اغتصبوا النساء والفتيات، فكانت واقعة عظيمة، قتل فيها سبعمائة من المهاجرين والأنصار والموالى، وعشرة آلاف من غيرهم»(٣).

واختفى بعض كبار الصحابة أمثال جابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدرى فى الجبال، وكانت تلك الواقعة سبة فى تاريخ يزيد بن معاوية إضافة لسبة أخرى هى أمره بقتل الحسين رضي الله عنه وآل البيت فى كربلاء.

وأطلق السلف الصالح على مسلم بن عقبة اسم مسرف بن عقبة لذلك.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد.

(٢) ذكر قول محمد ابن الحنفية المدائنى فى تاريخ الإسلام وكان رد ابن مطيع أن يزيد اظهر العبادة امامه رياءً.

(٣) انظر تفاصيل ذلك فى البداية والنهاية لابن كثير.

لكن بطش ربك الشديد عاجل هذا القائد المسرف فهلك حين انتهى من أمر المدينة وهو متوجه إلى مكة لقتال عبدالله بن الزبير الذى قد أعلن تمرده على يزيد أيضا أصاب الله هذا التعيس المسرف بالمرض العضال بالصفراء والكبد فمات بعد واقعة الحرة فى المدينة بثلاث ليال.

ولم يمكث يزيد بن معاوية الخليفة بعدها إلا قليل حتى أهلكه الله بالذبحة، وانتهى أمره ولم يتول الخلافة من بعده أحد من أبنائه وإنما ذهبت إلى الفرع المروانى من بنى أمية.

وهكذا استحقا العقاب الإلهى الذى بشر به رسولنا ﷺ من أراد أهل المدينة بسوء حين قال: «من أراد أهل المدينة بسوء، أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء»(١)

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وابن حبان وابن ماجه وانظر التذكرة للقرطبى.

(٥٥) نهاية جهجاه الغفارى

خرج بعض الناس من مصر والعراق على الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ظلماً وعدواناً، حتى إنهم ساروا إلى المدينة وحاصروا دار عثمان رضي الله عنه وهو الخليفة المطاع، من المسلمين لمدة اثنى عشر عاماً.

ورفض عثمان رضي الله عنه قيام الصحابة بحرب هؤلاء الخارجين عليه ودرأ الفتنة حتى لا يقتل رجل بسببه فيسأله الله عنه.

واستغل هؤلاء الخارجون حلم الخليفة الراشد فآذوه شر الإيذاء حتى إنهم حاصروه ومنعوا عنه الماء والطعام والخروج من البيت للمسجد.

ومن الذين اشتركوا فى هذه الفتنة رجل يقال له: الجهجاه بن سعيد الغفارى، أخذ عصاً كانت فى يد عثمان رضي الله عنه وهو على المنبر فى المسجد فكسرها على ركبته، فصاح الناس به، ونزل عثمان من على المنبر ودخل بيته ولم يفعل به شيئاً.

لكن الله المنتقم الجبار، انتقم من هذا الرجل الظالم فأصابه بالأكلة فى ركبته فلم يمض عليه الحول حتى مات.(١)

(١) انظر البخارى فى تاريخه والطبرى فى تاريخه وابن عساكر فى تاريخه وغيرهم.

(٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩) نهاية أربعة من قتلة عثمان

مازلنا فى حديثنا عن فتنة مقتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه ونهاية قاتليه ومن اشترك فى حصاره وقتله بالمدينة المنورة.

فقد قال الحسن البصرى رحمه الله: ما علمت أحداً اشترك فى دم عثمان رضي الله عنه ولا أعان عليه إلا قتل[١].

ويردد طلق بن خُشَّاف أنه أتى أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما، فقال لها: فيم قتل أمير المؤمنين عثمان؟.

قالت: قتل مظلوماً، لعن الله قتلته، أباد الله ابن أبى بكر وساق إلى أعين بنى تميم هواناً، وأهراق دم أبنى بديل ضلالة، وساق الله إلى الأشتر كذا.

قال طلق: لا والله إن بقى من القوم رجل إلا أصابته دعوتها، أخذ ابن أبى بكر فأقيد، ودخل على أعين بنى تميم رجل فقتله، وخرج ابنا بديل فى بعض تلك الفتن فقتلا، وخرج الأشتر إلى الشام، فأتى بشربة فقتلته[٢].

---

(١) خبر حسن أخرجه ابن أبى الدنيا فى مجابى الدعوة وابن أبى شيبة فى أخبار المدينة.

(٢) خبر حسن أخرجه البخارى فى تاريخه الصغير، وابن أبى بكر هو أخوها محمد بن أبى بكر، فقد شارك فى حصار عثمان قتله معاوية بن خديج بمصر ودسه فى بطن حمار وأحرقه، وقيل إنه جئ به أسيراً إلى عمرو بن العاص فقتله بعثمان بن عفان رضي الله عنه، انظر سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام للذهبى.

(٦٠) مصرع الرجال بن عنفوة

حين قدم وفد بنى حنيفة من أرض اليمامة مسلمين فى عهد رسول الله ﷺ كان من بينهم الرجال بن عنفوة فأسلم معهم وكان الوفد بضعة عشر رجلاً.

وكان الرجال بن عنفوة بعد إسلامه كثير القراءة للقرآن والصلاة والخير الكثير، إلا أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم على جمع من الناس فيهم الرجال بن عنفوة فقال: أحد هؤلاء النفر فى النار»(١).

قال رافع بن خديج ـ راوى الخبر ـ فنظرت فإذا فيهم أبو هريرة وأبو أروى والطفيل بن عمرو، والرجال، فجعلت أنظر وأتعجب.

فلما ارتدت بنو حنيفة بعد وفاة الرسول ﷺ ـ سألت ما فعل الرجال؟

فقالوا: افتتن وشهد لمسليمة أنه رسول الله وأشركه فى الأمر.

فقلت: ما قال رسول الله ﷺ هو الحق.

وقالوا أيضا: إن الرجال بن عنفوة كان يقول حين ارتد وانضم لمسليمة الكذاب: كبشان انتطحا، فأحبهما إلىَّ كبشنا ـ يقصد مسليمة ـ ومات على كفره(٢).

---

(١) انظر البخارى فى تاريخه والطبرى فى تاريخه وابن عساكر فى تاريخه وغيرهم.

(٢) انظر الإصابة لابن حجر.

(٦١) نهاية عبيد الله بن جحش

عبيد الله بن جحش أسلم بمكة قديماً، وهاجر إلى الحبشة ومعه زوجته أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان رضى الله عنها.

لكن عبيد الله بن جحش ارتد عن دين الإسلام وتنصر، وحاول أن يدخل زوجته أم حبيبة دينه الجديد فرفضت واستمسكت بدين الله الحق الإسلام.

تروى أم حبيبة رضى الله عنها عن محنتها تلك فى أرض الحبشة تقول: رأيت فى النوم عبيد الله بن جحش زوجى بأسوأ صورة وأشوهها ففزعت، فقلت: تغيرت والله حاله، فإذا هو يقول حين أصبح: يا أم حبيبة، إنى نظرت فى الدنيا فلم آر ديناً خيراً من النصرانية.

فقلت: والله ما خير لك، وأخبرته بالرؤيا التى رأيت له، فلم يحفل بها وأكب على الخمر حتى مات، فأرى فى النوم كأن آتياً يقول: يا أم المؤمنين، ففزعت، فأولتها أن رسول الله يتزوجنى.

قالت: فما هو إلا أن انقضت عدتى فما شعرت إلا برسول النجاشى على بابى يستأذن، فإذا جارية له يقال لها: أبرهة، كانت تقوم على ثيابه ودهنه، فدخلت علىَّ، فقالت: إن الملك يقول لك: إن رسول الله ﷺ كتب إلىَّ أن أزوجكه.

فقالت: بشرك الله بخير.

قالت: يقول لك الملك وكلى من يزوجك، فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص، فوكلته وأعطيت أبرهة سوارين من فضة وخدمتين كانتا فى رجلى وخواتيم فضة(١).

وهكذا أكرم الله عز وجل أم حبيبة على صبرها وتمسكها بدينها بأن تزوجت من رسول الله ﷺ وصارت من أمهات المؤمنين.

وأهلك الله عبيد الله بن جحش على الكفر وكان بعد أن تنصر يقول للمسلمين من الصحابة المهاجرين معه: فتحنا وصأصأتم!!.

أى فتحنا أعيننا فأبصرنا، ولم تفتحوا أنتم أعينكم فأبصرنا وأنتم تتلمسون ذلك(٢).

(١) انظر طبقات ابن سعد.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام، ومعنى كلمته لهم: أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك فضرب لهم بذلك مثلاً وله أيضاء

(٦٢) نهاية التائب الكذاب

ذكر منصور بن عمار[١] ـ أحد الدعاة ـ قال كان لى صديق مسرف على نفسه ثم تاب، وكنت أراه كثير العبادة والتهجد، ففقدته أياماً، فقيل لى: هو مريض، فأتيت داره، فخرجت إلىَّ ابنته، فقالت:

من تريد؟.

قلت: فلاناً.

فدخلت عليه فإذا هو فى وسط الدار، وهو مضطجع على فراشه، وقد اسود وجهه، وأزرقت عيناه وغلظت شفتاه، فقلت له:

ـ يا أخى أكثر من قول لا إله إلا الله.

ففتح عينيه فنظر إلى شزراً وغشى عليه، فقلت له ثانية: يا أخى أكثر من قول لا إله إلا الله، ففعل مثل الأولى، فكررت قولى ثالثةً ففتح عينيه وقال: يا أخى منصور، هذه كلمة قد حيل بينى وبينها.

فقلت له: لا حول ولا قوة إلا بالله، يا أخى أين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام؟!.

فقال: كان لغيرِ الله، وكانت توبتى كاذبة، إنما كنت أفعل ذلك ليقال عنى أنى رجل صالح، وأُذكر به، وكنت أفعل ذلك رياء الناس، فإذا خلوت إلى نفسى أغلقت الباب وأرخيت الستور، وشربت الخمور وبارزت ربى بالمعاصى

(١) انظر سيرته فى صفة الصفوة.

ودمت على ذلك مدة فأصابنى المرض وأشرفت على الهلاك، فقلت لابنتى هذه: ناولينى المصحف، وقلت: اللهم بحق كلامك فى هذا القرآن العظيم إلا ما شفيتنى، وأنا لا أعود إلى ذنب أبداً، ففرج الله عنى.

ثم قال: فلما شفيت عدت إلى ما كنت عليه من اللهو والملذات والمعصية، وأنسانى الشيطان العهد الذى بينى وبين ربى، فبقيت على ذلك فترة من الزمن، فمرضت مرضاً أشرفت فيه على الموت، فأمرت أهلى فأخرجونى إلى وسط الدار، ثم دعوت بالمصحف فقرأت فيه وقلت: اللهم بحرمة ما فى هذا المصحف من كلامك إلا ما فرجت عنى فاستجاب الله منى وفرج عنى.

ثم عدت إلى ما كنت عليه من اللهو والمعصية، فوقعت فى هذا المرض، فأمرت أهل فأخرجونى إلى وسط الدار كما ترانى، ثم دعوت بالمصحف فقرأت فيه، فلم يتبين لى منه حرف واحد، فعلمت أن الله سبحانه وتعالى قد غضب علىَّ، فرفعت رأسى إلى السماء وقلت: اللهم فرج عنى يا جبار الأرض والسماء، فسمعت هاتفاً يقول:

تتوب عن الذنوب إذا مرضت
وترجع للذنوب إذا برئت
كم من كربة نجاك منها
وكم كشف البلاء إذا بليت
أما تخشى بأن تأتى المنايا
وأنت على الخطايا قد دهيت

فبكى منصور بن عمار وقام من عنده فما وصل إلى باب الدار إلا وقد قيل له: إنه قد مات[(١)].

(١) انظر حكايات من سوء الخاتمة للعواجى بتصرف.

(٦٣) نهاية مدمن الخمر

ذكر ابن رجب الحنبلى أن عبد العزيز بن أبى رواد قال: حضرت رجلاً عند الموت يلقن: لا إله إلا الله، فقال فى آخر ما قال: هو كافر بما تقول.

ومات على ذلك.

قال: فسألت عن أحواله، فإذا هو مدمن خمر.

فكان ابن أبى رواد يقول للناس واعظاً:

ـ اتقوا الذنوب، فإنها هى التى أوقعته(١).

قلت: فالمرء يختم له على ما كان يصنع فى حياته، ويبعث على ما مات عليه فإن كان طائعاً عابداً لله، ولقن كلمة التوحيد لا إله إلا الله عند الموت قالها بيسر وسهولة وإن كان من أهل المعصية حيل بينه وبين قول لا إله إلا الله، لأن المرء عند الموت تعرض عليه أعماله، فكم من شارب للخمر قيل له عند الموت: قل لا إله إلا الله، قال أعطنى الكأس، وكم من لاعب نرد يقول فى سكرات الموت مثل قوله وهو يلعب بالنرد ـ الطاولة ـ فالذنوب والمعاصى تحول بين المرء فى سكرات الموت وقول لا إله إلا الله، لأن من قالها عند الموت فكانت آخر كلامه فى الدنيا دخل الجنة كما قال ﷺ فى الحديث الصحيح.

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى.

(٦٤) نهاية الحارث بن سويد

فى غزوة أحد خرج الحارث بن سويد يقاتل فى صفوف المسلمين، فلما اشتد القتال توجه الحارث بن سويد نحو المجذر بن زياد البلوى وهو من المسلمين فقتله، وذلك أخذاً بثأر قديم فى الجاهلية حيث قتل المجذر أبا سويد فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج بالمدينة قبل الإسلام.

وفر الحارث إلى مكة ولحق بالمشركين وأمر الرسول ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقتله إن هو ظفر به، فلم يظفر به.

وأرسل الحارث إلى أخيه الجلاس بن سويد يطلب التوبة ليرجع إلى قومه بالمدينة، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٨٦)

ولكن الحارث عاد خفية إلى المدينة ولم يهتم بأن الرسول ﷺ أهدر دمه.

فبينما رسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه إذ خرج الحارث بن سويد من بعض حوائط المدينة وعليه ثوبان مضرجان، فأمر به رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فضرب عنقه.

وهكذا انتهت حياة هذا المنافق الغادر(١).

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام.

(٦٥) نهاية شمر بن ذى الجوشن

لما خرج المختار الثقفى على الكوفة وأظهر تشيعه لآل البيت ونادى بالثأر من قتلة الحسين رضي الله عنه والتف الناس حوله مؤيدين ومناصرين كان على قائمة المطلوبين شمر بن ذى الجوشن قائد السرية التى قتلت الحسين رضي الله عنه.

فأرسل المختار الثقفى فى طلبه، فهرب شمر إلى البصرة حيث مصعب ابن الزبير واليها من قبل الخليفة عبدالله بن الزبير.

فبعث المختار فى أثره غلاماً له اسمه: زربى، فلما دنا منه قال شمر لأصحابه: تقدموا ودارونى وراءكم كأنكم قد هربتم وتركتمونى حتى يطمع فىَّ هذا العلج.

فساقوا وتأخر شمر فأدركه «زربى» فغضب عليه «شمر» فدق ظهره فقتله.

وكتب «شمر» كتاباً إلى مصعب بن الزبير يخبره بقدومه إليه، وأرسل الرسالة مع بعض أتباعه لكن الرسالة وقعت فى يدى أبى عمرة وهو أمير حرس المختار، فقام بالهجوم على «شمر» حيث كان يختبئ، فخرج إليهم بسيفه يقاتل ويدافع عن نفسه، فما زال يقاتل حتى قتل.

قال مسلم بن عبد الله: فما هو إلا أن أمعنت ساعة إذ سمعت، الله أكبر قتل الخبيث(١).

---

(١) انظر تاريخ الطبرى.

(٦٦) نهاية ابن أبى دؤاد

أحمد بن فرج المعروف بابن أبى دؤاد الجهمى، وزير الخليفة المأمون العباسى، كان من المعتزلة وهى طائفة منحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة(١).

أقنع الوزير ابن أبى دؤاد الخليفة المأمون بفكرة «خلق القرآن»، وأراد فرض الأمر على الأمة كلها وعلى رأسهم العلماء، وكانت تلك البدعة سبب فتنة عظيمة شغلت الأمة وقتل بسببها بعض العلماء، وتعرض الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لتلك الفتنة.

وأصر الإمام أحمد على رفض القول بخلق القرآن وأن القرآن كلام الله فعذبه المأمون ولما أراد أن يقتله هلك المأمون، ولكنه أوصى أخاه المعتصم الذى تولى الخلافة بعده بالاستمرار فى تعذيب أحمد بن حنبل حتى يؤمن بفكرة خلق القرآن.

وهلك المعتصم والإمام أحمد بن حنبل مصراً على موقفه فى التصدى لتلك البدعة حتى فرج الله كربه فى عهد الخليفة الواثق بالله وانتهت فتنة خلق القرآن.

---

(١) سموا بالمعتزلة لاعتزالهم رأى الجماعة والسنة وهم اتباع واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصرى ثم اختلف معه فى منزلة مرتكب الكبيرة ثم اعتزل مجلس الحسن البصرى فاطلق عليه وعلى أتباعه المعتزلة، وافترقت المعتزلة إلى عشرين فرقة فيما بينها كل فرقة تكفر باقيها.

أما صاحب الفتنة وسببها الوزير المعتزلى المفتون ابن أبى دؤاد فقد عاقبه الله بالشلل النصفى أربع سنوات، بل وجاء الخليفة المتوكل فغضب عليه وصادر أمواله وأموال أهله، ورفع الله قدر الإمام أحمد عند الخلفاء وعند الناس وصار إمام مذهب من المذاهب الفقهية الأربعة الشهيرة.

ويذكر ابن الجوزى وغيره أن عبد العزيز بن يحيى الكنانى قد ذهب إلى ابن أبى دؤاد وهو مريض مشلول فقال له: لم آتك عائداً، بل لأحمد الله على أن سجنك فى جلدك(١).

وظل هكذا مشلولاً حبيس جلده وداره حتى هلك. وقيل إنه طلب من الامام أحمد وهو فى مرضه هذا أن يعفو عنه ويسامحه فيما فعل فيه، وأن الامام قد عفا عنه بعدما سجنه الله فى جسده وأصبح لا حول له ولا قوة وتلك نهاية الظالمين والعاقبة للتقوى.

(١) انظر سير اعلام النبلاء لابن الذهبى.

(٦٧) نهاية الحجاج الثقفى

كان الحجاج بن يوسف الثقفى أحد أمراء بنى أمية فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، فقضى على خلافة عبدالله بن الزبير بعد حصاره للكعبة المشرفة التى تحصن بها ابن الزبير، وتطاول على الصحابة الكرام فى عصره.

يقول الذهبى: قاتل الله الحجاج، ما أجرأه على الله، كيف يقول هذا فى العبد الصالح عبد الله بن مسعود.

وقد أحصوا ما قتل الحجاج، فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً.

وقال عنه الخليفة عمر بن عبد العزيز لو تخابثت الأمم، وجئنا بالحجاج لغلبناهم.

وكان إبراهيم النخعى إذا ذكر الحجاج قال:

«ألا لعنة الله على الظالمين».

ومن الذين قتلهم الحجاج ظلماً وعدواناً إمام التابعين سعيد بن جبير رحمه الله وكذلك عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما، ومحاولة قتله الحسن البصرى..

قال عنه عاصم بن أبى النجود رحمه الله ما بقيت لله عز وجل حرمة إلا وقد ارتكبها الحجاج.(١)

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقى.

ولقد جزمت السيدة أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما للحجاج الثقفى حين قتل ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وصلبه أنه - أى الحجاج - هو المقصود فى قوله ﷺ: «إنه سيكون فى ثقيف كذاب ومبير»(١)، فأشارت إلى أن الكذاب هو المختار الثقفى وأنه هو المبير، والمبير هو كثير القتل، وتلك أهم صفات الحجاج الثقفى، فقد كان يقتل الناس بالشبهة ويعتبر كل من يخالف بنى أمية أو يخرج عليهم كافرا يستحل دمه.

وبعد أن قتل الحجاج الثقفى العالم التابعى سعيد بن جبير ظلماً لقى الحجاج حتفه ومصيره فاسقاً بعدها بأيام.

وكان يرى فى منامه ابن جبير يأتيه ويخنقه ويقول له لماذا قتلتنى؟! فيقوم الحجاج من نومه فزعاً لا يقدر على النوم، حتى مات على هذه الحالة.

قرأ طاوس رحمه الله حين جاءه خبر وفاة الحجاج الثقفى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الانعام: ٤٥).

وبكى إبراهيم النخعى فرحاً بموته، وسجد الحسن البصرى شكراً لله حين جاء خبر موت الحجاج وقد كان مختفياً عنه وقال:

اللهم كما أمته، فأذهب عنا سنته(٢).

---

(١) اخرجه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى.

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقى والبداية والنهاية لابن كثير وتهذيب ابن عساكر، وكان موت الحجاج فى رمضان عام ٩٥ هـ وعمره خمس وخمسون عاماً وحكم العراق عشرين عاماً!!.

(٦٨) نهاية عطاء المقنع

أحد الذين ادعوا الربوبية وكان له قناع من الذهب يغطى به وجهه القبيح، فقد كان مشوهاً أعور قصيراً ألكن اللسان، لا يظهر وجهه..

إنه عطاء المقنع الخراسانى، كان يؤمن بالتناسخ والحلول فقال:

إن الله تحول إلى صورة آدم، ولذلك أمر الملائكة بالسجود له، ثم تحول إلى صورة نوح، ثم إبراهيم وغيرهم من الأنبياء، والحكماء والفلاسفة، إلى أن جعل فى صورة أبى مسلم الخراسانى صاحب الدعوة ثم بعده انتقل إلىَّ.

واتبع المقنع بعضُ الجهلاء من الناس وقاتلوا دونه، ولما استفحل أمره وشره، أرسل الخليفة العباسى المهدى جيشاً لحربه حتى حاصروه فى قلعته، فلما ادرك أنه مأخوذ، جمع نساءه وسقاهن السم فهلكن، ثم تناول هو السم أيضا فهلك، وقُتل أعوانه وأتباعه وانتهى أمرهم وذلك عام ١٦٣ هـ[(١)].. إلا أن شرذمة منهم متواجدون حتى الآن.

وذكر البغدادى الإسفرائينى أن المقنع أحرق نفسه فى تنور في حصنه قد أذاب فيه النحاس مع القطران حتى ذاب فيه.

وافتتن به اصحابه بعد ذلك لما لم يجدوا له جثة ولا رمادا، وزعموا أنه

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان.. وكان المقنع يضع على وجهه القبيح قناعا من ذهب وقيل من حرير وقال لهم إنى إنما أتنقل فى الصور لأن عبادى لا يطيقون رؤيتى فى صورتى التى أنا عليها ومن رآنى احترق بنورى.. وكان اغلب اعوانه من الأتراك الخليجية واهل جبل ابلاق وقوم الصغد.

صعد إلى السماء وأتباعه اليوم فى جبال أبلا، ولهم فى كل قرية من قراهم مسجد لا يصلون فيه ولا يؤذنون فيه ويستحلون الميتة والخنزير والزنا وإذا ظفروا بمسلم قتلوه.

وهكذا انتهى أمر المقنع وبقيت فتنته شاهده عليه يحمل أوزارها وأوزار استمرارها بفعله وفعل أتباعه وقد دامت فتنته نحو أربع عشرة سنة[١].

(١) انظر الفرق بين الفرق.

(٦٩) نهاية الحسن بن بهرام

إنه من كبار الفئة الضالة من القرامطة التى ألحدت فى الحرم، واقتلعت الحجر الأسود من الكعبة المشرفة وظل عندهم نحو اثنين وعشرين عاماً حتى أعادوه، إنه الحسن بن بهرام الجنابى وكان أصحابه يطلقون عليه «السيد»، عاش فى بلدة «جنابة» بفارس ثم نفى منها، وأقام فى البحرين واستولى على «هجر» و«الأحساء» والقطيف.

كانت نهايته على يد خادم وهو فى الحمام حيث قتله الخادم، ثم خرج فاستدعى كبير أعوانه «الجنابى» وقال له: السيد يطلبك، فلما دخل عليه الحمام قتله الخادم، وفعل ذلك بثلاثة من حرسه، ثم صاحت النساء عندما علمن بمقتل الحسن بن بهرام وتكاثرن على ذلك الخادم فقتلوه، وكانت تلك نهاية ذلك الملحد فى الأض بعد أن نشر الفساد وأهلك العباد من المسلمين(١).

(١) انظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير.

(٧٠) نهاية عمير بن ضابئ

ذكر الطبرى فى تاريخه أن عمير بن ضابئ التميمى أحد الذين اشتركوا فى حصار الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه وقتله، قد عاش حتى زمن الحجاج الثقفى.

وقد نادى الحجاج بخروج الجيوش والبعوث، فقام إليه عمير بن ضابئ وقال له: أصلح الله الأمير، أنا فى هذا البعث، وأنا شيخ كبير عليل وهذا ابنى هو أشب منى.

قال الحجاج: ومن أنت؟.

قال: عمير بن ضابئ التميمى.

قال الحجاج: أسمعت كلامنا بالأمس؟.

قال: نعم.

قال: ألست الذى غزا عثمان بن عفان؟!

قال: بلى

قال الحجاج: وما حملك على ذلك؟.

قال: كان حبس أبى وكان شيخاً كبيرا.

قال الحجاج: أو ليس هو الذى يقول:

همـمـت ولم أفـعـل وكـدت وليـتـنى

تركت على عـثـمـان تبكى حـلائله

إنى لأحسب أن فى قتلك صلاح المِصْرين.

ثم أمر به فضربت عنقه وانتهى حاله وأمر منادياً ينادى فى الناس: الا إن عمير بن ضابئ تأخر بعد سماع النداء ثلاثاً، فأمرنا بقتله.

وهكذا لحق عمير بمن شارك فى قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﵁ فقد قتل مظلوماً ولم يرض أن يقتل أحد دفاعاً عنه، وكان قادراً على سحق محاصريه والخارجين عليه ولكنه رفض أن يقتل أحد من المسلمين دفاعاً عنه، ورضى أن يُقتل مظلوماً ﵁، وانتقم الله من قاتليه.

(٧١، ٧٢) نهاية الشلمغانى وتابعه ابن أبى عون

فى زمن تموج فيه الفتن وادعاء البعض النبوة والإلوهوية فى العصر العباسى، ظهر المضل محمد بن على الشلماغانى وادعى الربوبية، واتبعه البعض، فقد كان تابعه ابن أبى عون يقول له:

- إلهى وسيدى ورازقى!!.

فأمسك الوزير ابن مقلة وزير الخليفة الراضى بالله برأس الفتنة الشلمغانى وقال له: أنت زعمت أنك لا تدعى الربوبية، فلماذا يناديك ابن عون بإلهى وسيدى ورازقى!!.

فقد كان هذا الضال المضل يدعى الربوبية وحين يمسك به ينكر ذلك ثم يعود لأقواله وأفعاله الكفرية.

فقال الشلمغانى للوزير: وما علىَّ من قول ابن أبى عون؟.

فأحضر الخليفة الفقهاء والعلماء لمناظرته أكثر من مرة، فأفتى العلماء والفقهاء بكفره وإباحة دمه، فصدر الحكم عليه بالموت والحرق وقتل تابعه ابن أبى العون(١).

---

(١) انظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير والفرق بين الفرق، وقد سمى الشلمغانى نفسه روح القدس ووضع كتابا اسمه الحاسة السادسة رفع فيها الشريعة وأباح اللواط والزنا وزعم أن اللواط هو إيلاج الفاضل نوره فى المفضول. وكان الشلمغانى معروفاً «بابن أبى العذافر». انظر الذهبى فى العبر.

(٧٣) نهاية عمرو بن لحى

سكن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام مكة وتزوج من قبيلة جرهم العربية وولد له بها أولاد كثيرون، حتى ملأوا مكة، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على دين ابراهيم عليه السلام، ثم جاءت قبيلة خزاعة فاستولت على مكة وطردت منها جرهم واستبدلت دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بعبادة الأصنام.

فكان اول من غير دين إسماعيل عليه السلام ونصب الأوثان والأصنام حول الكعبة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وبحر البحيرة هو عمرو بن الحى وهو زعيم خزاعة، وكان قد مرض مرضاً شديداً، فقيل له: إن بالبلقاء من الشام عين إن اتيتها برأت.

فأتى تلك العين بالشام فاستحم بها فبرأ، ووجد اهل الشام يعبدون الأصنام، فقال:

ما هذه؟

قالوا له: نستسقى بها المطر وننتصر بها على العدو.

فسألهم ان يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة.

قال الكلبى: كان عمرو بن لحى كاهناً، وكان له رئى من الجن(١) يسمى

(١) أى له اتصال بالجن وله قرين منهم يصاحبه ويلازمه.

أبا ثمامة، فقال له: عجل بالمسير والظعن من تهامة بالسعد والسلامة.

قال: جير ولا إقامة.

قال: ائت شطر جدة تجد فيها أصناما معدة فأوردها تهامة ولا تهاب ثم ادع العرب إلى عبادتها تجاب.

ففعل عمرو بن لحى ما أمره به شيطانه، فكان أول من أدخل عبادة الأصنام والأوثان بمكة.

وقد أخبر النبى ﷺ عن نهايته يوم القيامة فقال: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعى - عمرو بن لحى - يجر قصبه - أى أمعاءه - فى النار، وكان أول من سيب السوائب وغير دين إبراهيم»(١).

فسيد القوم هو المسؤول عنهم أمام الله تعالى، فهو القدوة والإمام والناس على دين ملوكهم وكبرائهم، ومن سن سنة حسنة له أجرها وأجر من عملها وكذلك من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عملها إلى يوم الدين.

(١) رواه البخارى فى صحيحه، ومعنى سيب السوائب أى إن الإنسان ينذر إذا شفى أو تقضى له حاجة يترك ناقة أو أكثر سائبة حرة لا يمتلكها أحد للأصنام ولا ينتفع بها.

(٧٤) نهاية شبيب بن يزيد الخارجى وأمه غزالة

كان شبيب بن يزيد الخارجى أحد زعماء الخوارج فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان، ويذكر أصحاب التاريخ أنه قصد الشام وطلب أبو زرعة الجذامى أمير فلسطين وصديق الخليفة الأموى أن يتوسط له عند الخليفة فقال له: سل أمير المؤمنين أن يفرض لى فى أهل الشرق، فإن لى فى بنى شيبان تبعاً كثيراً. فسأل أبو زرعة الخليفة ذلك، فقال عبد الملك: هذا رجل لا أعرفه وأخشى أن يكون ضرورياً. فذكر أبو زرعة ذلك لشبيب، فقال: سيعرفنى بعد هذا.

ورجع إلى بنى شيبان وجمع من الخوارج الصالحية مقدار ألف رجل، واستولى بهم على ما بين كسكر والمدائن، فبعث إليه الحجاج الثقفى بعض قواده وجيوشه فهزمهم شبيب، ولم يقدر الحجاج عليه نحو عامين هزم للحجاج عشرين جيشاً.

ثم إنه دخل الكوفة ليلاً ومعه ألف من الخوارج ومعه أمه غزالة وامرأته جهيزة وكانتا على قدر كبير من الشجاعة والفروسية حتى إن الحجاج هرب منهما فعيره بعض الشعراء بقوله:

أسد علىَّ وفى الحروب نعامة

فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت إلى غـزالة فى الوغى

بل كـان قلبك فى جناحى طائر

وكان مع شبيب حين دخل الكوفة مائتان من نساء الخوارج محاربات يتقلدن السيوف ويمسكن الرماح، وقام بقتل حراس المسجد الجامع بالكوفة والمعتكفين فيه، ونصبت أمه غزالة على المنبر حتى خطبت.

وكان الشبيبيه الخوارج تزعم بكفر السيدة عائشة أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ بحجة أنها خرجت من المدينة إلى البصرة دون محرم لها!! ونسوا أنها أم المؤمنين وأنها حين خرجت كان معها أخوها وابن أختها، والغريب أنهم يستحلون خروج النساء معهم للقتال دون محرم!!

وبعد استيلائهم على الكوفة جهز لهم الحجاج الثقفى جيشاً من أربعة آلاف جندى فهزموا شبيب وجيشه، وهرب إلى الأنبار هو ومن معه، فوجه إليه الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبى فى ثلاثة آلاف، فنزل سفيان على شط الدجيل، وركب شبيب جسر الدجيل ليعبر إليه فأمر سفيان أصحابه بقطع حبال الجسر، فوقع شبيب فى النهر وغرق فيه وهو يقول: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (سورة يس: ٣٨).

وبايع أصحاب شبيب على الجانب الآخر من النهر أمه غزالة، وعبر سفيان بجنوده إليهم وقاتلهم وقتلهم، وقتلت غزالة أم شبيب وامرأته جهيزة وتم أسر الباقين، وتم انتشال جثة شبيب واحتز رأسه وأرسلت مع الأسرى للحجاج فأمر بقتل جماعة منهم وعفا عن البعض وانتهى أمرهم.

وذكر ابن الاثير أن أم شبيب حين نعى إليها ابنها فقيل لها أنه قتل، قالت: لا، فلما قيل لها إنه غرق، قبلت وصدقت وقالت: إنى رأيت حين ولدته كأن شهاباً من نار قد خرج منى، فعلمت أنه لا يطفئه الا الماء!!

ويزعم البعض أن جهيزة هى أم شبيب وأنه يضرب بها المثل فى الحمق فيقال: أحمق من جهيزة.

(٧٥) نهاية الحلاج

نهاية الحلاج نهاية مأساوية كتب عنها الكثير حتى جعلوه بطلاً مسرحياً وأنه ضحية الاضطهاد الفكرى، فمن هو الحلاج؟.

هو أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج، الزاهد أصله من البيضاء أحد بلاد فارس، ونشأ فى «واسط» بالعراق، وصحب أبا القاسم الجنيد، وقد اختلف الناس والعلماء والفقهاء فيه فمنهم من يرى أنه كافر يؤمن بالحلولية ومنهم من يبالغ فى تعظيمه، والسبب فى ذلك الحلاج نفسه وفى كلامه.

فد كان الحلاج فى بداية أمر مشغولاً بكلام الصوفية وكان كلامه وعباراته حينئذ من الجنس الذى تسميه الصوفية الشطح، وهو الكلام الذى يحتمل معنيين أحدهما قبيح مذموم والآخر حسن محمود مثل ما قاله بعضهم للناس وهو واقف على الأرض: إن إلهكم الذى تعبدون تحت قدمى!!، وبالطبع فإن ظاهرالقول كفر صريح بالله،لكن المعنى الذى يقصد أن الإله الذى يعبده الناس هو الذهب، وكان يقف على قطعة ذهب.

واختلف فى أمر الحلاج مشايخ الصوفية فبرئ منه عمرو بن عثمان المكى وأبو يعقوب الأقطع، وقال عمر بن عثمان: كنت أماشيه يوماً فقرأت شيئاً من القرآن، فقال الحلاج له: يمكننى أن أقول مثل هذا.

وروى أن الحلاج مر يوماً على الجنيد فقال له: أنا الحق.

فقال الجنيد له أنت بالحق آية، خشبة تفسد.

وتحقق ما قاله الجنيد لأن الحلاج قتل بعدها وصلب على الخشب ببغداد.

والذين كفروه لادعائه الحلولية حين قال: من هذب نفسه فى الطاعة، وصبر على اللذات والشهوات ارتقى إلى مقام المقربين ثم لا يزال يصفو ويرتقى فى درجات المصافاة حتى يصفو عن البشرية، فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الإله الذى حل فى عيسى ابن مريم، ولم يرد حينئذ شيئاً إلا كان كما أراد، وكان جميع فعله فعل الله تعالى(١).

وزعموا أن الحلاج ادعى لنفسه هذه الدرجة، وذكر أنهم ظفروا بكتب له إلى أتباعه إليه وفيها: يا ذات الذات ومنتهى غاية الشهوات ونشهد أنك المتصور فى كل زمان بصورة، وفى زماننا هذا بصورة الحسين بن منصور ـ الحلاج ـ ونحن نستجيرك ونرجو رحمتك يا علام الغيوب».

ومما وجدوه رسالة له لأتباعه يقول فيها: «من الهُو ـ أى هو ـ الذى هو رب الأرباب المتصور فى كل صورة إلى عبده فلان..».

ولما استفحل أمر الحلاج بالعراق واستمال جماعة من حاشية الخليفة المقتدر بالله، أمر بحبسه واستفتى الفقهاء فى دمه، فأفتوا بحل دمه، وأمر الخليفة بضربه ألف سوط وقطع أطرافه الأربعة ثم قطع رأسه، ففعل به ذلك ثم أحرقت جثته فصارت رماداً وألقى فى دجلة وذلك عام ٣٠٩ هـ، وزعم أتباعه أنه حى لم يمت وأن الذى قتل هو شبيهه!!(٢).

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٧٦، ٧٧) نهاية
مازيار بن قارن والأفشين

مازيار بن قارن بن بندار من بلاد فارس، دخل فى الإسلام وتسمى محمداً، وكان يملك جبال طبرستان فأقره الخليفة المأمون على ملكه، لكنه كان يؤمن بدين المحمرة ويتبع هو وأتباعه دين البابكية وإن صاحب هذا الدين أمير يدعى «شروين» ويزعم أنه أفضل من كل الأنبياء، وقام مازيار وقومه ببناء المساجد فى جبالهم للمسلمين ولا يصلون فيها، ولا يصومون شهر رمضان ولا يرون جهاد الكفرة واجبا.

وفى عهد المعتصم أعلن مازيا العصيان على الخليفة وخلع المعتصم الخليفة، فأمر الخليفة العباسى بقتاله وحربه، وأرسل إليه عبد الله بن طاهر وبعد معارك طويلة هزم مازيار وأسر وتم اقتياده إلى سمراء فأقر على أن الحاجب الأفشين الذى كان يعمل لدى الخليفة هو الذى حرضه على العصيان وأنهما كانا قد أجتمعا على مذهب من مذاهب المجوس، فأمر بالضرب بالسياط فمات بعد شهر وصلب، ومازال أتباعه متواجدين إلى الآن فى جبلهم «أكرة» من سواد جرجان يظهرون الإسلام ويضمرون الكفر به.

وأما «الأفشين» فأصله من بلاد فارس من أبناء الأمراء واسمه خيذر بن كاوس، اصطفاه الخليفة العباسى المعتصم لخدمته فكان صاحباً له.

وقال المؤرخون أنه انقلب على المعتصم وعلى دولة الإسلام ودبر

المؤامرات سراً، وقد أمر المازيار عليه وأنهما كانا على دين المجوس، فأخذه المعتصم وقتله وصلبه وأحرق جثته(١).

ولعل المؤامرات التى كانت تحاك فى عهد الخلافة العباسية هى التى أدت إلى مصرع الأفشين صاحب الخليفة، ولعله أيضاً كان على دين المجوس، فقد اختلف المؤرخون فى ذلك، والحقيقة يعلمها الله تعالى.

إلا أن بعض آل فارس كانوا يدخلون الإسلام ويضمرون الكفر وخاصة الكبراء منهم والأمراء الذين فقدوا ملكهم بعد انتشار الإسلام فى ديارهم وانتهاء الإمبراطورية الفارسية، وقد ظهر منهم أدعياء الربوبية والنبوة ومن حاول إعادة دين المجوس.

(١) انظر الفرق بين الفرق، ويرى التبريزى فى شرح ديوان أبى تمام أن الأفشين لم يكن كافراً ولا منافقاً وأن الحساد أفسدوا ما بينه وبين الخليفة.

(٧٨، ٧٩) نهاية بابك الخرَّمِى وأخيه إسحاق

ظهر بابك الخُرَّمِى الفارسى فى عهد الخليفة العباسى المأمون فهو مجوسى الأصل، ودخل فى الإسلام وتسمى بالحسن أو الحسين، وكان شديد البطش، صعب المراس، فأراد أن يسترجع دين المجوس وملك فارس، هكذا صور له شيطانه، فأعلن التمرد والعصيان فى عام ٢٠١ هـ فى عهد المأمون، فأرسل له الخليفة جيشاً لحربه، فهزم بابك جيش الخليفة فى ٢١٤ هـ وكان معه أخوه إسحاق بن إبراهيم.

وفى عصر الخليفة المعتصم حارب جيش الخليفة بابك بقيادة الأفشين، فهزم بابك وقتل من أتباعه نحو ألف رجل وهرب بابك إلى «موقان» ثم ظهر مرة أخرى وحارب جيش الخليفة بقيادة الأفشين عام ٢٢٢ هـ وهزم جيش بابك ونجا هو ولكن تم أسره عام ٢٢٣ هـ، فأمر الخليفة بقطع أجزائه وصلبه ومعه أخوه إسحاق.

وقد كثر أتباع «بابك» فى أذربيجان وقد أستباحوا كغيرهم المحرمات وقتلوا المسلمبن، وظل بابك وأخوه يحاربان المسلمين نحو عشرين عاماً إلى أن تم القضاء على دعوته وأتباعه وأسره هو وأخوه إسحاق بن إبراهيم وتم قتلهما وصلبهما.(١)

(١) انظر الفرق بين الفرق ومروج الذهب للمسعودى ويزعم البابكيون أن أصل دينهم يرجع إلى أمير فارسى اسمه شروين وأنه أفضل من الأنبياء كلهم واستباحوا المحرمات.

(٨٠) نهاية مانى بن فاتك الفارسى

مانى بن فاتك وقيل مانى بن ماشى ظهر فى عصر ملك الفرس سابور ابن أزدشير، وكان على دين المجوس ثم أحدث دينا جديداً. يجمع بين النصرانية والمجوسية وزعم أنه نبى من الأنبياء وآمن بعيسى ابن مريم ولم يؤمن بموسى عليه السلام وادعى حلول الروح القدس الذى نزل عيسى ابن مريم فيه، وذلك قبل ظهور الإسلام.

وقال «مانى» إن الأرواح التى تفارق الأجسام نوعان: أرواح الصديقين وأرواح أهل الضلالة، وأن أرواح الصديقين سرت فى عمود الصبح إلى النور الذى فوق الفلك، فبقيت فى ذلك العالم على السرور، وعلى عكسها تكون أرواح أهل الضلالة وإذا أرادت اللحوق بالنور الأعلى رُدت منعكسة إلى السفل، فتتناسخ فى أجسام الحيوانات إلى أن تصفو من شوائب الظلمة ثم تلتحق بالنور العالى.

وقال أيضا إن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان لم يزالا.

وزعم «مانى» أنه هو البارقليط الذى بشر به عيسى ابن مريم عليه السلام(١).

---

(١) البارقليط هو الرسول الذى يأتى بعد عيسى وقد بشر به وهو محمد ﷺ، فقد جاء ذكر الفارقليط فى الفصل الخامس عشر من الإنجيل «يوحنا» وقال المسيح: إن الفارقليط روح الحق الذى يرسله أبى هو يعلمكم كل شىء، وقال يوحنا إن المسيح قال لتلاميذه: إن كنتم =

وأمر «مانى» أتباعه بالصلاة بعد الاغتسال من الماء الجارى ويستقبل النير الأعظم ثم يسجد ويقول فى سجوده:

مبارك هادينا الفارقليط رسول النور ومبارك ملائكته الحفظة ومسبح جنوده النيرون ويأمر أتباعه بصيام ثلاثين يوماً إذا نزلت الشمس برج الدلو والفطر عند الغروب.

ولما استفحل أمره وكثر أتباعه أمر كسرى الفرس بهرام بن هرمز بقتله، فقتل وصلب وأخذ يقتل أتباعه حتى هربوا عبر نهر «بلخ» ودخلوا فى مملكة خان الترك، وكان ذلك قبل ظهور الإسلام كما ذكرنا.(١)

= تحبونى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم إلى الأبد، روح الحق لم يطق العالم أن تقيلوه لأنهم لم يعرفوه..» «والفارقليط» فى لغتهم ذكروا فيه أقوالاً، قيل أنه الحماد، وقيل إنه الحامد، وأنه المعز وقيل إنه الحمد، وكل هذه الأوصاف تنطبق على محمد ﷺ، وما جاء فى القرآن الكريم على لسان عيسى عليه السلام «ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد..».

(١) انظر الملل والمحل ـ الشهرستانى.

(٨١) نهاية أبى عيسى الأصبهانى

ظهر أبو عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهانى فى عصر الخليفة العباسى المنصور، وقيل إن اسمه هو «عوفيد الوهيم» أى عابد الله، وكانت بداية دعوته فى عصر آخر الخلفاء الأمويين.

واتبعه الكثير من اليهود وزعموا أنه نبى مرسل وله آيات ومعجزات.

وزعم أبو عيسى أنه نبى وأنه رسول المسيح المنتظر، وزعم أن للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحدا بعد واحد.

وزعم أن الله تعالى كلمه وكلفه أن يخلص بنى إسرائيل من أيدى الأمم العاصين والملوك الظالمين.

وزعم أن المسيح أفضل من آدم، وأنه أعلى منزلة من الأنبياء الماضين، وكتب كتاباً حرم فيه كل الذبائح وأكل كل ذى روح. وأوجب على أتباعه عشر صلوات وخالف اليهود فى كثير من شريعتهم المذكورة فى التوراة.

وذهب إلى أن محمداً وعيسى ابن مريم عليهما السلام بعثا إلى قومهما ولم يبعثا بنسخ شريعة موسى عليه السلام وأن أتباعهما كذبوا حين أدعوا ذلك.

وكانت نهاية هذا المدعى الكذاب على يد جيش الخليفة المنصور فقتل هو وأتباعه.(١)

---

(١) انظر الملل والنحل.

وقد ذكر المقريزى أن أبا عيسى الأصبهانى ادعى النبوة وأنه عرج به إلى السماء فمسح الرب على رأسه وأنه رأى محمداً ﷺ فآمن به ويزعم يهود أصبهان أنه الدجال وأنه سوف يخرج من ناحيتهم آخر الزمان مرة أخرى.

من المعلوم أن المسيح الدجال المنتظر الذى تنتظره اليهود يخرج أيضاً من خراسان وأصبهان، فهم لا يؤمنون بالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فينتظرون مسيحاً آخر يحكم العالم كله سوف يؤدى بهم إلى نهايتهم المحقوقة كما أخبرنا بها رسولنا ﷺ آخر الزمان على أيدى المسلمين المؤمنين فى أحاديث صحيحة كثيرة منها «لا تقوم الساعة حتى يقول الحجر وراءه اليهودى: يا مسلم، هذا يهودى ورائى فاقتله»(١).

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه وعند مسلم: لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودى خلفى، تعالى فاقتله إلا الغرقد ـ فإنه من شجر اليهود».

والأحاديث كثيرة فى كتب الأحاديث، انظر كتابنا أشراط الساعة ونهاية العالم وكتابنا عشرة ينتظرهم العالم، الناشر دار الكتاب العربى.

(٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦) نهاية من حُرم قول لا إله إلا الله عند موته

من قال لا إله إلا الله قبل موته وكانت آخر كلامه فى الدنيا دخل الجنة كما أخبر بذلك رسولنا ﷺ فما الذى يحرم ويمنع المسلم من قولها عند احتضاره وتكون آخر كلامه فى الدنيا؟.

إن عمل المسلم فى حياته يجعله موفقاً فى ختم حياته بشهادة الحق، ونذكر بعض القصص الذى ذكره الذهبى فى الكبائر:

٨٢ ـ عن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: حضرت وفاه تلميذ، كان يحضر عندى، فلما حضرته الوفاة جعلت ألقنه الشهادة، ولسانه لا ينطق بها، فكررتها عليه فقال التلميذ:

لا أقولها وأنا برىء منها

وخرج الفضيل من عنده وهو حزين يبكى فلما مات التلميذ رآه الفضيل فى المنام فقال له:

ـ يا مسكين بم نزعت منك المعرفة؟!.

فقال: يا أستاذ كان بى علة، فأتيت بعض الأطباء، فقال لى: تشرب

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

قدحاً من الخمر، وإن لم تفعل زادت بك علتك، فكنت أشربها كل سنة لأجل التداوى.

وهكذا حالت المعصية بينه وبين نطق الشهادة قبل موته، لأن الله لم يجعل شفاء أمة محمد ﷺ فيما حرم عليهم!

وشرب الخمر من الكبائر.

٨٣ ـ وذكر ابن القيم فى كتابه «الداء والدواء» أن بعض السماسرة قيل له عند نزول الموت به:

قل: لا إله إلا الله.

فجعل يقول: ثلاثة ونصف، أربعة ونصف!!.

وغلب عليه حب التجارة والسمسرة.

٨٤ ـ وقيل لأحدهم: قل لا إله إلا الله.

فجعل يقول: البقرة الصفراء.

هكذا تعلق قلبه ببقرته الصفراء، فحيل بينه وبين قول لا إله إلا الله.

٨٥ ـ وقيل لآخر قل لا إله إلا الله.

قال: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا، والبستان الفلانى افعلوا فيه كذا.

وهكذا غلبت أفعال العباد فى الدنيا عليهم حين يحتضرون وينزع منهم قول لا إله إلا الله.

نسأل الله السلامة وأن يكون قول لا إله إلا الله آخر كلامنا فى الدنيا ونلقى بها الله عز وجل يوم القيامة وأن يقبلها ويحفظها عنده فى خزائن حفظه.

٨٦ ـ ويذكر الذهبى أيضاً فى الكبائر:

قال مجاهد رحمه الله: ما من ميت يموت إلا مُثل له جلساؤه الذين كانوا يجالسهم، فاحتضر رجل ممن كان يلعب الشطرنج فقيل له:

قل لا إله إلا الله.

فقال: شاهك أو كشى ملك.

ثم مات، فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته فى اللعب.

وكذلك حال شارب الخمر حين قيل له قل لا إله إلا الله، فقال: اشرب واسقنى.

ولا إله إلا الله وحده.

قلت: والقصص فى هذا الأمر كثيرة ومتنوعة ذكرنا بعضها، لعلنا نفيق من غفوتنا ونعد العدة، ونجدد الإيمان بقول لا إله إلا الله فمن قالها خالصاً من قلبه غفر الله له وأدخله جناته، ومن أخلص القول من القلب أخلص العمل أيضاً وهنا تأتى المغفرة وقبول العمل الصالح والعفو عن العمل السىء، وقبول التوبة، نسأل الله أن يجعلنا من أهل لا إله إلا الله فى الدنيا والآخرة، إنه ولى ذلك والقادر عليه. وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٨٧ ـ ٨٨) نهاية المطفف والوزان
(٨٩ ـ ٩٠) والتاجر والشحات

ذكر الإمام الذهبى فى الكبائر عن مالك بن دينار رحمه الله قال:

دخلت على جار لى، وقد نزل به الموت، وهو يقول: جبلين من نار، جبلين من نار.

قلت: ما تقول:

قال: يا أبا يحيى كان لى مكيالان كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر.

قال مالك: فقمت، فجعلت أضرب أحدهما بالآخر.

فقال الرجل: يا أبا يحيى، كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظماً وشدة. ومات الرجل فى مرضه(١).

وقال بعض السلف الصالح: أشهد على كل كيال أو وازن بالنار، لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله، وقد دخلت على مريض وقد نزل عليه الموت، فجعلت ألقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها، فلما أفاق قلت له: يا أخى، ما لى ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها؟!.

(١) انظر الكبائر للذهبى، والمطفف هو الذى ينقص فى المكيال والوزن وقد توعده الله بالعذاب فى سورة المطففين «ويل للمطففين..».

(٢) انظر الكبائر للذهبى.

قال: يا أخى، لسان الميزان على لسانى يمنعنى من النطق بها.

فقلت له: بالله أكنت تزن ناقصاً؟.

قال: لا والله ولكن ما كنت أقف مدة لأختبر صحة ميزانى!!.

وهو ما يسمى الآن دمغ الموازين وعيارهم حتى يتأكد من صحة الميزان وعدالته.

- وذكر ابن قيم الجوزية قال: أخبرنى من حضر بعض الشحاذين عند موته، فجعل يقول: لله، فلس لله، فلس لله.

وظل يرددها حتى مات.

- وقال أيضاً: أخبرنى بعض التجار عن قرابة له أنه احتضر وهو عنده، وجعلوا يلقنونه: «لا إله إلا الله»، وهو يقول: هذه القطعة رخيصة، هذا مشترى جيد.

وظل هكذا حتى قضى نحبه.

وهكذا يغلب على الإنسان ما كان ينشغل به فى الدنيا، ولا يأتيه التثبيت من الله إلا من كان قلبه عامراً بالإيمان وجعل الدنيا فى يديه وليس فى قلبه قال تعالى:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة إبراهيم: ٢٧).

ومن التثبيت فى الدنيا أن يختم له بكلمة التوحيد قبل الموت بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(٩١) نهاية أعوان الظالم

ذكر ابن الجوزى رحمه الله عن بعض السلف الصالح أنه رأى رجلاً ممن يخدم الظلمة بعد موته بمدة فى حالة قبيحة، فقال له: ما حالك؟.

قال: شر حال.

فقال له: إلى أين صرت.

قال: إلى عذاب الله.

فقال له: فما حال الظلمة عندكم؟!

قال: شر حال، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (سورة الشعراء: ٢٢٧)(١).

فلا يركن أعوان الظالم أيا كانوا أنهم سوف ينجون من عذاب الله بدعوى أنهم كانوا يؤدون أعمالهم وواجبهم ليحصلوا على رزقه، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، فالظلم ظلمات يوم القيامة، والظالم أيا كان موقعه سواء كان حاكماً أو فرداً عادياً وكل من يعينه على الظلم يأتى يوم القيامة ليقتص منه ويقول الله للمظلوم: خذ حقك ممن ظلمك، ويطرح الظالم وأعوانه إلى النار وبئس المصير.

ولقد حرم الله الظلم وتوعد الظالمين وقد جاء فى الحديث القدسى «يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفس فلا تظالموا ..».

(١) انظر الحدائق لابن الجوزى.

(٩٢) نهاية المؤذن العاشق

ذكر ابن قيم الجوزية رحمه الله فى الداء والدواء قال: إنه كان بمصر رجل ملتزم مسجداً للأذان والصلاة، وعليه بهاء العبادة، وأنوار الطاعة، فرقى يوماً المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصرانى ذمى، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار، فافتتن بها وترك الأذان، ونزل إليها ودخل الدار، فقالت له: ما شأنك؟ ما تريد؟.

قال: أنت أريد.

قالت: لماذا؟

قال لها: سلبت عقلى، وأخذت بمجاميع قلبى.

قالت: لا أجيبك إلى ريبة.

قال: أتزوجك.

قالت: أنت مسلم وأنا نصرانية، وأبى لا يزوجنى منك.

قال لها: أتنصر.

قالت: إن فعلت أفعل.

فتنصر وارتد ليتزوجها، وأقام معهم فى الدار، فلما كان ذلك اليوم رقى إلى سطح الدار، فسقط منه فمات، فلا هو بدينه فاز ولا هو بها نال.

أى أنه لقى مصرعه يوم زفافه، فكانت خاتمته على الكفر ولم ينل ما تمنى وترك من أجلها دينه فخسر الدنيا والآخرة.

وحتى ولو عاش ونال ما تمنى فقد خسر آخرته وقد علم أن متاع الدنيا قليل، وأن الباقيات الصالحات خير عند الله وأعظم أجرا، لكنها الفتنة، أعاذنا الله منها، ودائماً يردد المؤمن الفقيه: اللهم عافنا ولا تبتلينا، فالابتلاء امتحان ولا يدرى أحدنا ماذا يفعل فى هذا الامتحان.. هل ينجح ويفوز؟! أم يخسر وتنتهى به الحالة كما حدث لأقران الخاتمة السيئة!!

نسأل الله دوماً السلامة والنجاة من الفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه سميع مجيب الدعاء.

(٩٣) نهاية العاشق

ذكر ابن الجوزى رحمه الله قال أبو الحسن على بن عبيد الله الزاغونى: يحكى أن رجلاً اجتاز بباب امرأة نصرانية، فرآها فهويها من وقته، وزاد الأمر به حتى غُلب على عقله، فحمل إلى المستشفى.

وكان له صديق يتردد عليه، ويترسل بينه وبينها، ثم زاد الأمر به، فقالت أمه لصديقه: إنى أجئ إليه ولا يكلمنى.

فقال: تعالى معى.

فأتت معه.

فقال له: إن صاحبتك قد بعثت إليك برسالة.

فقال: كيف؟.

فقال له: هذه أمك تؤدى رسالتها .

جعلت أمه تحدثه عنها بشىء من الكذب، ثم إنه زاد الأمر عليه، ونزل به الموت، فقال لصديقه: قد جاء الأجل، وحان الوقت، وما لقيت صاحبتى فى الدنيا، وأنا أريد أن ألقاها فى الآخرة، فقال له صاحبه:

فكيف تصنع؟.

قال: أرجع عن دين محمد، وقل عيسى ومريم والصليب أعظم.

فقال ذلك ومات.

وهكذا خسر الدنيا والآخرة.

ومضى صديقه إلى تلك المرأة فوجدها مريضة، فدخل عليها وجعل يحدثها فقالت: أنا ما لقيت صاحبى فى الدنيا وأريد أن ألقاه فى الآخرة وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنا بريئة من دين النصرانية.

فقام أبوها وقال للرجل: خذوها الآن فإنها منكم.

فقام الرجل ليخرج فقالت له: قف ساعة.

فانظر قليلاً، فماتت.

قال ابن أبى حجلة فى ديوان الصبابة: فلم أسمع بأغرب من هذه الحكاية ولا أعظم من هذه النكاية وقد سبق على صاحبها الكتاب، وضرب بينه وبين محبوبته بسور له باب، فابتلى من فراق محبوبته ودينه بدائن، ودارت عليه دوائر السوء، وكيف لا؟ وقد ورد بكساده فى الحب دار البوار وأصبح بكفره على شفا جرف هار.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

(١) ذم الهوى لابن الجوزى.

(٩٤، ٩٥) نهاية العاشق والعاشقة

ذكر ابن الجوزى رحمه الله فى ذم الهوى عن أبى مسكين رحمه الله قال: ضلت ناقة لفتى من بنى تميم، فخرج إلى حىٍّ من بنى شيبان ينشدها، فإنه لكذلك إذ بصر بجارية ـ فتاة ـ كأنها الشمس حسنا وجمالاً، فعشقها عشقاً مبرحاً، فرجع إلى قومه وقد ذهب عقله.

ولم يتمالك الفتى من شدة الحب إلا أن رجع إلى حى الفتاة، فلما هدأ الليل، أتاها وهى جالسة وإخوتها نيام حولها فقال لها:

ـ يا قرة عينى قد والله أذهب الشوق عقلى، وكدر علىَّ عيشى.

فقالت له: امض لحالك وإلا نبهت إخوتى فقتلوك.

فقال لها: إن القتل أهون علىَّ من الذى أنا فيه.

قالت: وهل يكون شىء أشد من القتل.

قال: نعم ما أنا فيه من حبك.

قالت له: فما تريد؟

قال: أمكنينى من يدك حتى أضعها على قلبى، ولك على العهد عهد الله عز وجل أنى أرجع. ففعلت ما طلب منها، فرجع إلى دياره.

فلما كان اليوم التالى، عاد إليها بالليل فوجدها على مثل حالها، فقالت له قولها الأول، فلما فعل ذلك وقع فى قلبها منه كهيئة النار، فأقبلت تلقاه كل

ليلة فشاهده إخوتها، فقالوا ما لهذا الكلب قد طال مكثه فى هذا الجبل وهو يتخطانا. فقعدوا لطلبه فى ليلتهم تلك، فأرسلت إليه أن القوم يريدونك فكن على حذر وإياك من الغفلة.

فجاءت سحابة فحالت بينهم وبين طلبهم، ثم انجلت السحابة وطلع القمر، فتطيبت الجارية ونشرت شعرها وتزينت واشتهت أن تلقاه ويراها على تلك الحالة، فقالت لصديقة لها قد أطلعتها على أمرها:

يا فلانة أسعدينى على المضى إليه.

فخرجتا تريدانه وهو على الجبل خائف من الطلب، فبصر بشخصين يسيران فى ضوء القمر، فلم يشك أنهما من الطالبين واعتقد أنهما من قوم الفتاة المعشوقة الذين يطلبونه وخشى على نفسه، فانتزع سهماً من كنانته وأطلقه صوب الفتاتين فأصاب السهم الفتاة المعشوقة العاشقة فى مقتل، فسقطت لوجهها مضرجة بدمائها فلم تزل تضطرب حتى ماتت، فبهت الفتى وظل شاخصاً ينظر إليها ولا يصدق ثم أنشأ يقول:

نعب الغراب بما كرهت
ولا إزالة للقدر
تبكى وأنت قتلتها
فاصبر وإلا فانتحر

ثم جمع سهامه فجعل يطعن بها عروق عنقه حتى قتل نفسه.

وهكذا كانت نهاية العاشق والعاشقة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.(١)

---

(١) انظر ذم الهوى لابن الجوزى.

(٩٦) نهاية الوزير الظالم

ذكر ابن كثير فى تاريخه البداية والنهاية أن الوزير على بن أحمد السميرى وزير السلطان محمود، كان مجاهراً بالظلم والفسق وأحدث على الناس أنواعا من الضرائب حتى أثقل كاهلهم، وكان يقول: لقد استحييت من كثرة ظلم من لا ناصر له، ومن كثرة ما أحدثت من السنن السيئة.

وذات يوم عزم على الخروج إلى همذان فأحضر المنجمين، فضربوا له التخت والرمل لساعة خروجه ليكون أسرع لعودته، فخرج فى تلك الساعة، وبين يديه السيوف المسلولة والمماليك الكثيرة فما أغنى عنه ذلك شيئاً من قدر الله، فجاءه رجل باطنى المذهب من الخارجين على السلطان فقتله، وقتل الباطنى، ورجع نساؤه بعد أن ذهبن بين يديه على مراكب الذهب حاسرات عن وجوههن قد أبدلهم الله الذل بعد العز، والخوف بعد الأمن، والحزن بعد السرور والفرح وذلك عام ٥١٦ هـ.(١)

فالله يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته سبحانه وتعالى، هو القاهر فوق عباده، ولكن الظالمين لا يعلمون إلا بعد فوات الأوان!!

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

(٩٧) نهاية الشاعر الفاسق

ذكر ابن كثير رحمه الله فى تاريخه أن ابن الخشكرى النعمانى أحد الشعراء قد اشتهر عنه أشياء عظيمة منها أنه يعتقد فضل الشعر على القرآن.

وحضر هذا الشاعر عند الصاحب علاء الدين صاحب الديوان وأنشده قصيدة، وبينما هو ينشد قصيدته أذن المؤذن للصلاة، فاستنصت الصاحب علاء الدين لسماع النداء، فقال له الفاسق: يا مولانا، اسمع شيئاً جديداً، وأعرض عن شىء له سنون. يقصد الأذان.

فتثبت الصاحب علاء الدين ما قيل عن ابن الخشكرى من هرطقة، فقال له يريد أن يظهر ما فى جوفه وصدره من كفر، فتأكد لديه صدق ما قيل عنه وأنه زنديق.

فقال لأحد أتباعه استفرد به وفى أثناء الطريق اقتله.

وبالفعل سار هذا الرجل مع الشاعر ابن الخشكرى حتى إذا انقطع عن الناس قال لجماعة معه: انزلوه عن فرسه. وذلك على سبيل المزاح، فأنزلوه وهو يشتمهم ويلعنهم، ثم قال الرجل لهم:

- انزعوا عنه ثيابه.

فسلبوها وهو يحاول المقاومة ويقول: إنكم أجلاف وإن هذا لعب بارد.

فقال الرجل لهم: اضربوا عنقه.

فتقدم أحدهم وضرب عنقه بالسيف، وانتهى أمره(1).

وهكذا نال هذا الفاسق عقابه فى الدنيا بعد أن أظهر الكفر بالله، ويقى ما ينتظره من عذاب آخر فى الآخرة.

وللأسف الشديد يوجد مثل هذا الشاعر الفاسق الكثير فى زماننا هذا من بعض الشعراء وأصحاب الفكر الضال الذين يطلقون على أنفسهم المبدعين المستيرين أو أصحاب الفكر المستير، الذين يرون أن حرية الكفر إبداع وحرية رأى، فإذا صودرت أعمالهم علا صياحهم وتشدقوا بحرية الرأى والإبداع وما هو إلا كفر بواح ألهمهم به شياطينهم أمثالهم.

(1) البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٣.

(٩٨) نهاية لاعن أبى بكر وعمر

ذكر ابن كثير فى تاريخه أن محمود بن إبراهيم الشيرازى أظهر مذهب الرافضة من سب الصاحبين أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما، فأمر القاضى الحنبلى بدمشق بحبسه أربعين يوماً، إلا أنه خرج من السجن وهو مصر على إظهار ما يعتقده ويصرح به فى كل موطن حتى أمسك به الناس وهو يسب الشيخين ويلعنهما فى المسجد الأموى بدمشق.

وجاءوا به إلى القاضى المالكى قاض القضاة جمال الدين المسلانى، فاستتابه عن ذلك وأمر بضربه بالسياط فقال الرافضى فى أول ضربة: لا أله إلا الله علىٌّ ولى الله، ولما ضرب الثانية قال: لعن الله أبا بكر وعمر.

فالتهمه العامة وأوسعوه ضرباً مبرحاً حتى كاد أن يهلك بين أيديهم وهو مازال يسب الصحابة وقال: كانوا على الضلال.

فحمل إلى نائب السلطان وشهد عليه قوله بانهم أى الصحابة على الضلالة، وعند ذلك فحكم عليه القاضى بقتله.

فأخذ إلى ظاهر البلد وضربت عنقه.

وأحرقت العامة جثته وانتهى أمره على ذلك.

قلت: وقد نهى الرسول ﷺ عن ذكر أصحابه بسوء فقال «إذا ذكر أصحابى فأمسكوا وإذا ذكر القدر فآمسكوا.»(١)

(١) رواه الطبرانى فى الكبير انظر البداية والنهاية لابن كثير.

قال أيضا : الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فبحبى أحبهم، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم، فمن أذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن أذى الله أوشك أن يأخذه.» رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما.

وهكذا كان رسولنا ﷺ صريحاً فى حكمه على من يسب الصحابة كلهم دون تفرقة، نسأل الله العافية والسلامة.

وأما ما حدث من خلاف بين الصحابة بعد وفاة النبى ﷺ فأمره موكول إلى الله، ولا دخل لنا فيه ونتوقف عنده ولا نحكم عليه، فإن فى ذلك السلامة.

(٩٩) نهاية المرأة العاصية فى الآخرة

ذكر الذهبى فى الكبائر للترغيب والترهيب من سوء الخاتمة للمرأة المتبرجة العاصية لله وأوامره، يرويها أحدهم عن امرأة من المتبرجات فى الدنيا وكانت تخرج من بيتها متبرجة وماتت على ذلك.

رآها بعض أهلها فى المنام وقد عرضت على الله عز وجل فى ثياب رقاق، فهبت ريح فكشفتها، فأعرض الله عنها وقال: خذوا بها ذات الشمال إلى النار، فإنها كانت من المتبرجات فى الدنيا.

ولا شك أن عقاب المتبرجات فى الدنيا قد أخبرنا به رسولنا ﷺ فى قوله «صنفان من أهل النار لم أرهما[١]، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».[٢].

والتبرج هو إظهار المرأة ما أمرت أن تخفيه من جسدها أو إظهار الزينة.

فكما قال أهل العلم إن جسد المرأة عورة إلا الوجه والكفين كما أشار بذلك الحديث النبوى، وكذلك ألا يكون بثيابها أو حجابها زينة أو ثياب شهرة أو وضع مساحيق التجميل أو العطور حال خروجها.

(١) أى لم يكونا فى عصره ﷺ.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه وهذا الحديث من دلائل النبوة وعلامات الساعة الصغرى.

(١٠٠) نهاية المرأة مؤخرة الصلاة

ذكر الذهبى رحمه الله فى الكبائر عن عمرو بن دينار قال: كان رجل من أهل المدينة له أخت ماتت، فجهزها وحملها إلى قبرها.

فلما دفنت ورجع إلى أهله، تذكر أنه نسى كيساً كان معه وهو فى القبر يدفن أخته، فاستعان برجل من أصحابه، فأتيا القبر، فنبشاه فوجدا الكيس، ثم قال للرجل: تنح حتى أنظر على أى حال أختى؟.

فرفع بعض ما على اللحد، فإذا القير يشتعل ناراً فرده، وسوى القبر ورجع إلى أمه، فسألها عن حال أخته فقالت:

ـ كانت تؤخر الصلاة عن وقتها، ولا تصلى فيما أظن بوضوء، وتأتى أبواب الجيران إذا ناموا فتلقم أذنها أبوابهم، فتخرج حديثهم.

وهكذا كان حال هذه المرأة فى القبر من عذاب، وذلك لارتكابها أمورا عظاما أولها تأخير الصلاة عن وقتها وقد أمرنا الله ورسوله أن نؤدى الصلاة فى أوقاتها إلا لعذر كالسفر مثلاً فله أحكام خاصة.

وقد سئل ﷺ عن أفضل الأعمال فقال الصلاة لوقتها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (سورة النساء: ١٠٣)

وكذلك الصلاة بغير وضوء أمر عظيم، والتجسس على الجيران أمر خطير.

نسأل الله السلامة قال تعالى ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾

(سورة الحجرات)

(١) الكبائر للذهبى، وأهوال القبور لابن رجب الحنبلى.

(١٠١) نهاية من ماتت عشقاً

غـزا خـالد بـن الوليـد رضي الله عنه بنى عـامـر بناء على أمـر النبى ﷺ وأن يدعوهم للإسلام، فلما جاءهم وقال لهم: أسلموا، فقالوا: نحن قوم مسلمون، قال لهم: ألقوا سلاحكم وانزلوا.

قالوا: لا والله ما نلقى سلاحنا ولا نحن لك ولا لمن معك آمنين.

قال خالد: فلا أمان لكم إلا أن تنزلوا.

ورفضوا التسليم وإلقاء السلاح، فحاربهم وأسرهم، وكان فى الأسر حبيبان هما حبيشة بنت حبيش وابن عمها عبد الله بن علقمة، وكان الفتى يهوى ابنة عمه، فلما وقع فى الأسر واقتيد لضرب عنقه.

قال لهم: هل لكم فى خير؟.

فقالوا له: وما هو؟

قال: تدركوا بى الظعن - مكان النساء - أسفل الوادى ثم تقتلونى.

وكان يريد الاقتراب من المكان الذى فيه ابنة عمه مع نساء قومها، فلما اقترب نادى بأعلى صوته: اسلمى حبيش عند نفاد العيش.

فأقبلت ابنة عمه عليه وقالت: وأنت فاسلم على كثرة الأعداء وشدة البلاء.

قال: سلام عليك دهراً وأنت بنت عصراً.

قالت: وأنت سلام عليك عشراً وتسعا تترى وثلاثا وتراً.

وأنشد يقول:

إن يقتلونى يا حبيش فلم يدع

هواك لهم من سوى غُلَّة الصدر

فقالت:

وأنت فلا تبعد فنعم أخو الهوى

جميل العفاف والمودة فى ستر

فضربوا عنقه، فأقبلت عليه ابنة عمه حتى أهوت عليه وأمسكت رأسه بين يديها تقبله، وماتت مكانها.(١)

(١) انظر التذكرة الحمدونية بتصرف.

(١٠٢) نهاية أروى بنت أويس

ذكرت أروى بنت أويس إلى والى المدينة أن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وكان مستجاب الدعوة قد ظلمها فأرسل إليه مروان بن الحكم والى المدينة وكلمه فى شأن تلك المرأة فقال له سعيد:

ترونى أنى قد ظلمتها، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول «من ظلم شبراً من الأرض طُوقه يوم القيامة من سبع أرضين».(١)

ثم قال: اللهم إن كانت كاذبة فلا تمتها حتى تعمى بصرها، وتجعل قبرها فى بئرها.

فذكروا أنهم أخبروها بذلك، وكانت قد ادعت أن سعيد بن زيد قد اقتطع من أرضها المجاورة لأرضه جزءاً.

فجاءت وهدمت الحائط الذى يفصل بين الأرضين، وبنت بيتاً، ولم تمكث إلا قليلا حتى أصابها العمى، وكانت تقوم من الليل ومعها جارية تقودها، فلم توقظها يوماً، فخرجت بمفردها، فسقطت فى بئرها فماتت وجعل قبرها تحت قدمها.

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

(١٠٣) نهاية الحارث الدمشقى

ظهر الحارث بن عبد الرحمن بن سعيد الدمشقى فى دمشق عابداً زاهداً، حتى اشتهر أمره بين الناس وضرب به المثل فى العبادة والتقوى والورع.

امتحنه الله وسلط عليه الشيطان الرجيم، فأرسل إلى أبيه يقول له:

«يا أبتاه.. اعجل على فانى قد رأيت اشياء اتخوف ان تكون من شيطان قد عرض لى» فأضله ابوه وقال له!

يا بنى اقبل على ما امرت به فان الله تعالى يقول ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (سوره الشعراء: ٢٢١:٢٢٢)

ولست بأفاك ولا أثيم فامض لما امرت

وكانت الشياطين قد أمرته أن يدعى النبوة، ففعل وخرج إلى الناس يذكرهم أمره، ويأخذ العهد عليهم إن هو يرى ما يرضى وإلا كتم أمره عليه.

وكان يظهر الأعاجيب فيأتى رخامة فى المسجد فينقرها بيده، فتسبح تسبيحاً ظاهراً واضحاً ويسمعه الناس بوضوح أمسك به الخليفة الأموى عبد الملك وجاءوا بالعلماء والفقهاء يناظرونه ويعظونه ويوضحون له أن الذى يراه تأتيه الشياطين إليه وليس وحياً، فلم يقبل منهم وأصر على ادعائه النبوة، فأمر به فقتل وصلب وانتهت فتنته ولم تنفعه عبادته لأن العبادة دون علم وفقه فى الدين هلاك، وكما قيل لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد(١).

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير.

(١٠٤) نهايه الجعد بن درهم

الجعد بن درهم احد أئمة الضلال فى عصره، زعم ان الله لم يتخذ إبراهيم ﷺ خليلاً وان الله فى كل مكان بذاته ونفى صفات الله الثابتة فى القرآن والسنة.

وتلقى الجعد بن درهم مذهبه من استاذه أبان بن سعيد الذى تعلمه على يد طالوت ابن اخت لبيد بن أبى عاصم اليهودى الساحر.

ولما انتشر مذهب جعد، واصر على اقواله وكفره وضلاله امسك به الوالى خالد بن عبدالله القسرى، وفى عيد الأضحى وبعد ان خطب الناس وصلى بهم قال: ايها الناس، ضحوا تقبل الله منا ومنكم ضحاياكم فإنى مضح بالجعد بن درهم.

ثم نزل المنبر وذبحه امام الناس.

(١٠٥) مصارع المفسدين فى الأرض

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رهطاً من عكل وعرينة أتوا رسول الله ﷺ فقالو: يا رسول الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، فاستوخمنا المدينة.

أى أنهم أهل برية وصحراء لا يألفون سكن المدن والزراعة.

فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود إبل أن يخرجوا فيها فليشربوا من ألبانها وأبوالها.

فقتلوا راعى رسول الله ﷺ، واستاقوا الذود - الإبل - فبعث رسول الله ﷺ فى آثارهم، فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وثمل - فقأ - أعينهم، فتركوا فى الحرة - منطقة للرعى - حتى ماتوا على حالهم.(١)

قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فيهم: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة المائدة: ٣٣ - ٣٤).

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال، قتلوا ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال نفوا من الأرض(٢).

(١) رواه مسلم. وكانوا فعلوا مثل ذلك براعى إبل رسول الله ﷺ.

(٢) تفسير ابن كثير.

(١٠٦) نهاية الخليفة العباسى القاهر بالله

ذكرالسيوطى فى تاريخ الخلفاء أن الخليفة العباسى القاهر بالله كان أهوج طائشا يحب سفك الدماء ويشرب الخمر، وكان له حربة يأخذها بيده فلا يضعها حتى يقتل إنساناً، وظل فى الحكم ست سنين وستة أشهر.

وقام عليه جنوده وقواده فخلعوه من الخلافة بعد أن سملوا عينيه فأصبح أعمى، ثم شوهد فى جامع المنصور ببغداد عليه جبة قديمة قد ذهب وجهها وبقى بعض قطن بطانتها وهو يقول:

أيها الناس تصدقوا علىَّ، بالأمس كنت أميراً للمؤمنين وأنا اليوم من فقراء المسلمين.

ولما علم الخليفة الجديد بأمره قبض عليه وأودعه سجن القصر حتى توفى وصدق الشاعر إذ يقول:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً

فالظلم يرجع عقباه إلى الندم

وكان أول عمل فعله القاهر بالله هى مصادرة أموال آل المقتدر بالله الخليفة السابق وعذبهم وضرب أم المقتدر بالله حتى ماتت فى العذاب.

وحين شغب عليه الجند حين أجمعوا على خلعه تحيل عليهم حتى أمسك بهم وذبحهم وطين على ابن المكتفى بين جدارين[١] وهو ابن أخيه.

(١) حين قتل الخليفة المقتدر بالله، سألوا ابن المكتفى أن يتولى الخلافة فرفض وقال عمى =

واستطاع الجند من خلعه فقيل له: ما تقول؟

قال: أنا أبو المنصور محمد بن المعتضد ولى فى أعناقكم بيعة وفى أعناق الناس ولست أبرئكم ولا أحللكم منها.

فقاموا وقال الوزير: يخلع ولا نفكر فيه أفعاله مشهورة.

وجاءوا بمحمد بن المقتدر ولقبوه الراضى بالله وبايعوه، فقام الراضى بالله بكحل عينى القاهر بالله بمسمار محمى بالنار وعمى ثم وقف فى المسجد الكبير يتسول الناس فى أيام الخليفة المستكفى كى يشنع عليه، فمنع من الخروج إلى أن مات عام ٣٣٩ هـ وعمره ثلاثة وخمسون عاماً.

= القاهر أولى بها ورغم ذلك لم يسلم من أذاه.

(١٠٧) كما تدين تدان

شهدت الخلافة العباسية فى أواخرها انقلابات وخلع للخلفاء من قبل الجنود الأتراك وقادتهم، وشهدت أيضا تكحيل أعين ثلاثة من الخلفاء بالمسامير المحمية حتى يصابوا بالعمى فلا يصلحوا للخلافة، فكان منهم القاهر بالله والمتقى بالله والمستكفى بالله.

فأما المستكفى بالله فقد بويع له بالخلافة بعد أن قبض على الخليفة المتقى وكحلت عيناه وسملت وأدخل بغداد مسمول العينين وأحضر ليبايع بالخلافة للمستكفى عام ٣٣٣ هـ.

وكما فعل بالخليفة المتقى بالله، فعل الأتراك بالخليفة المستكفى بالله فدخلوا عليه وجذبوه من على سرير ملكه وطرح أرضاً وكحلت عيناه بالمسمار المحمى وسملت وساقوه ماشياً مقهوراً كى يبايع بالخلافة المطيع لله.

وهكذا كما تدين تدان، وسجن المستكفى إلى أن مات ٣٣٨ هـ ولم تدم خلافته سوى سنة وأربعة أشهر.

ومن الطرائف أن الخليفة المخلوع القاهر بالله لما بلغه أن المتقى بالله قد سمل مثله.

قال: صرنا اثنين نحتاج إلى ثالث.

فكان الثالث هو المستكفى بالله.(١)

(١) انظر تاريخ الخلفاء.

(١٠٨) نهاية المباهلة بين الحق والباطل

ذكر ابن حجر العسقلانى أنه جرى بينه وبعض المحبين لابن عربى الصوفى منازعة كثيرة فى أمر ابن عربى حتى تبرأ ابن حجر منه لسوء كلامه(١)،فهدده الرجل المحب المتبع لابن عربى أن يشكوه لسلطان مصر بأمر غير الذى تنازعا فيه يؤذيه فقال ابن حجر: ما للسلطان فى هذا مدخل، فقال نتباهل، فما تباهل اثنان فكان أحدهما كاذباً إلا وأصيب.

فقال له: باسم الله.

وأية المباهلة فى سورة آل عمران (٦١) قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فيه من بَعْد مَا جَاءَكَ منَ الْعلْم فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١)

فقلت له: قل اللهم إن كان ابن عربى على ضلال فالعنى بلعنتك.

فقال الرجل ذلك.

---

(١) تكلم ابن عربى وهو أحد ائمة الصوفية فى عصره بكلام اعتبره الفقهاء وعلماء عصره من أهل السنة أنه كفر مثل وحدة الوجود وغيرها، وهذا ما جعل ابن حجر العسقلانى ينكر عليه ذلك ويفسره باطلاً ودعى الرجل إلى المباهلة وهى اللجوء إلى حكم فى الأمر المختلف فيه كما فعل الرسول ﷺ مع نصارى نجران حين جاءوا المدينة ورفضوا دعوة الرسول ﷺ لهم بالدخول فى الإسلام، فدعاهم إلى المباهلة ونزلت الآية (٦١) من سورة آل عمران، ولم يحضر وفد نجران تلك المباهلة وانصرفوا وبعد انسحابهم إقرارا منهم بصدق الرسول ﷺ ودعوته، وقد طلبوا منه الأمان فاعطاهم.

فقال ابن حجر: اللهم إن كان ابن عربى على هدى فالعنى بلعنتك.

وافترقا على ذلك، وكان الرجل يسكن الروضة، فاستضافه شخص من أبناء الهند ثم بدا له أن يتركهم وخرج فى أول الليل مصمماً على عدم المبيت، فخرجوا يودعونه وفى الطريق أحس بشىء مر على رجله، فقال لأصحابه: مر على رجلى شىء ناعم فانظروه.

فنظروا، فلم يروا شيئاً، ولما رجع إلى بيته أصيب بالعمى، وما أصبح إلا ميتاً وكان ذلك عام ٧٧٧ هـ، ولم يمض على تلك المباهلة عام.

(١) الألوسى فى محاكمة الأحمدين وغيره.

(١٠٩) نهاية الظلم الندم

لو دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك، فهذه القصة الواقعية ترويها لنا صاحبتها بكل صدق وصراحة وهى كما تقول «عسى أن تكون عبرة لغيرى».(١)

تقول صاحبة القصة:

إنا زوجة وأم فتاة بالسنة النهائية فى إحدى الكليات النظرية، ولى بالإضافة إلى الفتاة ابن متزوج ولديه طفلان، وزوجى ضابط عسكرى بالمعاش، ونحن نعيش فى أحد أحياء القاهرة.

ومنذ أن بدأت حياتى مع زوجى ونحن نعيش حياة رغدة، وقد استعنت طوال حياتى الزوجية على تربية أولادى بمربيات عديدات، وكانت الواحدة منهن لا تمكث عندى أكثر من شهرين ثم تفر من قسوة زوجى العدوانى بطبعه، والذى لا أعرف هل اكتسب عدوانيته هذه خلال رحلة حياته أم أنها وراثية فيه، فقد كان يتفانى فى تعذيب أى مربية أو خادمة تعمل عندنا.

ولا أنكر أنى شاركته فى بعض الأحيان جريمته بالقسوة على هؤلاء المسكينات.

ومنذ خمسة عشر عاماً، جاءنا مزارع من معارف زوجى، ومن أبناء

(١) نشرت هذه القصة فى جريدة الأهرام فى بريد الأهرام للأستاذ / عبد الوهاب مطاوع فى ١٥ / ١ / ١٩٩١م.

بلدته، ومعه ابنته الطفلة ذات الأعوام التسعة، فاستقبلته بكبرياء، فقال المزارع البسيط لزوجى:

جئت بابنتى لتعمل خادمة مقابل ٢٠ جنيها فى الشهر.

وترك المزارع ابنته لتعمل خادمة ومربية عندنا، وبدأت الخادمة الطفلة عملها عندنا فكانت تستيقظ فى الصباح الباكر قبل أن يستيقظ ولدىّ الصغار وتساعدنى فى إعداد الطعام لهما ثم تحمل الحقائب المدرسية وتقوم بتوصيل الأولاد إلى أتوبيس المدرسة ثم تعود للشقة لاستكمال عملها، وتفطر على الفول والخبز الذى أوشك على التعفن!!

فظلت الطفلة الخادمة تقوم بعملها على خير وجه وتلبى جميع طلباتنا إلى منتصف الليل ثم تدخل لتنام على الأرض فى المطبخ.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل كان زوجى ينهال عليها ضرباً بقسوة شديدة، وكنت أشاركه فى ذلك، وكانت تلك الفتاة تتحمل حتى كبر سنها وتعودت على طباعنا، وتحملتنا كثيراً، ومع مرور الزمن أشفقت عليها وكنت أدعو زوجى إلى عدم ضربها فكان يقول لى ضاحكاً: لو لم أضربها فستطلب هى نفسها منه أن يضربها، لأنها تعودت على الضرب!! إن هذا الصنف من الناس لا تنفع معه المعاملة الطيبة.

لقد كان قاسى القلب تماماً مع هذه الفتاة المسكينة ورغم ذلك استمرت الفتاة معنا، وتحملت العذاب فى صمت وصبر، ووصل الأمر بزوجى أن كان يعذب تلك الفتاة بالكهرباء فيصعقها بسلك الكهرباء ومع الحرمان من وجبة العشاء فى ليالى البرد القاسية.

وكانت الفتاة بعد أن تنتهى من أعمالها الشاقة ترتدى فستانا قديما لكنه نظيف، فقد كانت تحرص على نظافة ملابسها البسيطة.

وطوال فترة عملها معنا لم تر تلك الفتاة أمها ولا إخوتها إلا فى ثلاث مناسبات الأولى حين مات شقيقها الأكبر فى حادث وكانت الفتاة تعلق عليه

الأمل الكبير فى أن ينتشلها من هذا العذاب، فبكت عليه بحرقة وسرّاً حتى لا يراها زوجى، فتلقى عقاباً شديداً منه، والمرة الثانية أرسلتها إلى أسرتها لأنها كانت مريضة بمرض جلدى معدٍ، فظلت هناك حتى شفيت وعادت، والمرة الثالثة عند وفاة أبيها.

وسوف تتساءل: ولماذا تحملت الفتاة كل هذا العذاب ولم تهرب بجلدها من جحيمكم وقسوتكم؟!.

وأجيبك بأن الفتاة حين قاربت سن الشباب، خرجت ذات يوم لشراء الخضروات ولم تعد إلى البيت، فسأل زوجى البواب عنها وعرف أنها كانت تتحدث لفترات طويلة مع شاب يعمل لدى جزار بنفس الشارع، وأنه من المحتمل أن يكون قد اتفقت معه على أن يتزوجها وينتشلها من هذا الجحيم التى تعيش فيه.

وبدأ زوجى فى البحث عنها، واستغل نفوذه ووظيفته كضابط كبير فى العثور عليها وإحضارها من مخبئها، واستقبلناها عند عودتها استقبالاً حافلاً بكل أنواع العذاب والقسوة، وقام زوجى بصعقها بالكهرباء وتطوع ابنى بركلها بعنف، بينما كانت ابنتى تبكى وهى تقول لأبيها: حرام يابابا... هذا حرام.

وفقد زوجى سيطرته على نفسه واستدار وضربها هى أيضا لأول مرة فى حياته.

وعادت الفتاة لحياتها الشقية معنا، واستسلمت لمصيرها، واستمر الوضع كما كان عليه، واستمر زوجى فى مسلسل ضربها وتعذيبها دون هوادة أو رحمة أو شفقة، وكنا نخرج للنزهة والفسحة ونتركها فى المنزل ونترك لها بقايا طعام الأسبوع لتأكله.

ثم شيئاً فشيئاً بدأنا نلاحظ عليها أن الاكواب والأطباق تسقط من يدها وأنها تتعثر فى مشيتها كثيراً، فعرضناها على طبيب العيون الذى أكد لنا أن نظرها قد ضعف جداً بسبب ما تتلقاه من صدمات كهربائية وضربات

على منطقة الدماغ والعينين، وأن نظرها ينسحب ويتقلص تدريجياً، وأنها حالياً لا ترى تحت قدميها.. أى شبه عمياء.

ورغم ذلك لم نرحمها، وظلت تقوم بكل أعمال النظافة والخدمة فى المنزل وتخرج لشراء الخضار من السوق.. بل وكثيراً ما كنت أصفعها إذا عادت من السوق بخضروات ليست طازجة.

وأشفقت عليها زوجة البواب، فكانت تجلسها فى مدخل العمارة وتذهب هى لشراء الخضروات لها، حتى تنقذها من الإهانة والضرب، واستمر الحال هكذا لفترة من الزمن حتى كف بصرها وأصبحت عمياء لا ترى تماماً، وخرجت الفتاة من عندنا ولم تعد ولم نبحث عنها لعدم جدواها بعد أن أصبحت عمياء، فماذا نصنع بفتاة عمياء!!

ومضت السنوات وأحيل زوجى للتقاعد، وفقد نفوذه ومنصبه الهام، واستقبل حياة الفراغ وتضاعفت عصبيته وثورته وتقلاباته إلى حد غير محتمل، ولكن تحملته بسبب عشرة السنين.

وتخرج ابنى من الجامعة وعمل وتوظف، ثم عزم على الزواج بإحدى الفتيات، وهى فتاة رائعة الجمال وتزوجها، ثم زادت سعادتنا حين عرفنا أنها حامل.

وحانت ساعة الانتقام:

إلى هذا الحد فالأمور تسير بطبعيتها لتلك الأسرة الظالم أهلها من سعادة وفرح وسرور، لكن لكل ظالم نهاية ولكل ظلم ساعة، وهذا ما ترويه لنا صاحبة القصة:

ثم جاءت اللحظة السعيدة، ووضعت زوجة ابنى مولودها الأول، فإذا بنا نكتشف الحقيقة القاسية، إنه طفل أعمى لا يبصر!!

تحولت الفرحة إلى سحابة كثيفة من الحزن القاتم، وبدأنا رحلة طويلة مع الأطباء بحثاً عن علاج لهذا العمى الذى أصاب المولود الجديد.. ولكن دون جدوى.

واستسلم ابنى وزوجته للأمر الواقع وانطفأ الأمل فى قلبيهما وأدخلنا حفيدنا الموعود بالعناء حضانة للأطفال المكفوفين.

وقررت زوجة ابنى ألا تحمل مرة أخرى خشيت أن تلد مولوداً آخر أعمى، لكن الأطباء أكدوا لها أن هذا مستحيل وشجعوها على الحمل والإنجاب مرة أخرى، وشجعناها نحن أيضا على ذلك، على أمل أن يرزقها الله بطفل طبيعى يخفف من حزننا وصدمتنا فى الطفل الأول.

وحملت زوجة ابنى للمرة الثانية وأنجبت طفلة جميلة شقراء نزلت إلى الحياة، وفرحنا بها حين أكد لنا الطبيب أنها ترى وتبصر كالأطفال العادين وليست عمياء.

ولكن بعد عدة شهور لاحظنا أن نظرها مركز فى اتجاه واحد لا تحيد عنه، وعرضناها على اخصائى فى العيون فأكد لنا أنها لا ترى إلا بصيصا من الضوء، وأنها معرضة أيضا أن تفقد بصرها!!

فأصيب زوجى بحالة نفسية أفسدت عليه حياته وكره كل شىء حتى بيته وأولاده ثم تطورت حالته وازدادت سوءاً، وأشار علينا الأطباء بإدخاله مصحة نفسية لعلاجه من الاكتئاب.

وأحسست بهموم الدنيا تطأ صدرى بقسوة وفى غمرة ضيقى وحزنى، تذكرت الفتاة المسكينة الخادمة التى كانت تعمل لدينا والتى عذبتها حتى عميت وهربت وهى كفيفة لا عائل لها أو معين إلا الله عز وجل، وقد مضى على هروبها فترة ليست بالطويلة، وأحسست أن ما حدث لنا ما هو إلا عقاب الله لنا عما فعلنا معها وأن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان.

أصبحت صورة هذه الفتاة العمياء تطاردنى فى وحدتى وتملك علىَّ تفكيرى، وتعلق أملى فى العثور عليها، وأخذت أبحث عنها حتى دلنا أحد الجيران على مكانها، وعلمنا أنها تعمل خادمة فى أحد المساجد.

وذهبت إليها وأحضرتها لتعيش معى ما بقى لى من أيامى، ورغم قسوة

الذكريات فقد فرحت الفتاة بسؤالى عنها وحرصى على عودتها إلينا، وحفظت العشرة التى لم نحفظها نحن ورعت العيش والملح الذى لم نرعه وعادت معى تلك الفتاة اليتيمة العمياء تتحسس الطريق وأنا أقودها بيدى، وفرحت بها ابنتى كثيراً، وسكنت الفتاة معنا فى المنزل، وأصبحت أخدمها وأرعاها وأقوم على شؤنها هى وكذلك طفلىّ ابنى المكفوفين أيضا سواء بسواء.

وكل أمل ودعاء لربى أن يغفر لى ولزوجى على ما اقترفناه فى حق هذه الفتاة المسكينة اليتيمة من ظلم وقسوة وعدوان.. اللهم آمين.

وتختم رسالتها بقولها: وأنا أقول لمن نزعت الرحمة من قلوبهم إن الله حى لا ينام، فلا تقسو على أحد من عمالكم أو ممن لكم سلطان عليه، فسوف يأتى يوم تطلبون فيه الرحمة من أرحم الراحمين وتندمون على ما فعلتم فى قوتكم وجبروتكم، أرجو أن يعتبر الجميع من قصتى هذه.. ألا ما أكثر العبر وما أقل الاعتبار. «انتهت الرسالة».

(١١٠) نهاية أبى عامر الفاسق

إنه أبو عامر الراهب أحد كبراء المدينة المنورة قبل الهجرة النبوية، أسلم ابنه حنظلة المسمى غسيل الملائكة ولم يؤمن أبو عامر الراهب وترك المدينة المنورة بعد أن دخلها الإسلام وهاجر إليها الرسول ﷺ، وذهب إلى قريش وانضم إليهم فى حربهم للمسلمين ورسول الله ﷺ، واشترك معهم فى غزوة أحد، وأراد أن يدعو قومه من الأنصار إلى الانضمام إليه حين دارت رحى الحرب، وخرج إليهم قبل بدء المعركة ونادى على الأوس:

- يا معشر الأوس أنا أبو عامر.

فقالوا: لاأنعم الله بك عينا يا فاسق.

فقال: لقد أصاب قومى بعدى شر.

ولم تفلح محاولاته للتفريق بين صفوف المسلمين، وأُطلق عليه أبو عامر الفاسق بعد أن كان يلقب بالراهب لنسكه وعبادته.

وسافر أبو عامر إلى قيصر الروم ودعاه إلى حرب المسلمين، فوعده القيصر بذلك، وخرج أبو عامر لذلك ولكن الله أهلكه فى رحلة عودته إلى مكة ومات على كفره وشركه بالله.

(١١١) نهاية أم أنمار

أم أنمار امرأة من قريش شاركت قومها فى حربهم الإسلام وتعذيب المسلمين الأوائل.

فقد كان خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولى لها فقامت بتعذيبه فكانت تأخذ حديدة محمية بالنار وتضعها على رأسه حتى يدخن جلد رأسه ويغمى عليه.

ولما أذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة هاجر إليها.

وانتقم الله من أم أنمار فأصيبت بصداع لم يسمع بمثله وكانت تعوى من شدة الألم مثل الكلاب.

وبحث أهلها عن دواء لها فقيل لهم: إنه لا شفاء لها من أوجاعها إلا إذا دأبت على كى رأسها بالنار.

وهكذا كان انتقام الله منها، فجعلت تكوى رأسها بالحديد المحمى، وتصرخ من شدة آلام الكى والصداع وظلت هكذا حتى هلكت ولله الحمد والمنة.

(١١٢) نهاية المنكر لوجود الله

حدثت هذه القصة فى الجامعة المصرية سنة خمسين الميلادية، حين وقف أحد الطلاب وقال لزملائه: إن كان الله موجوداً فليمتنى إذاً بعد ساعة.

ونظر إلى ساعته وهو ينظر نظرة سخرية، ومرت دقائق والطلاب ينظرون إليه، تتعجب على جرأته فى إظهار كفره بالله، وبعد تمام الساعة انتفض الطالب الملحد واقفاً يزهو بنفسه وهو يقول لزملائه: أرأيتم لو كان الله موجوداً لأماتنى.

ثم انصرف إلى منزله وهو فرح بما فعل وقال، ووسوس الشيطان إلى الطلاب، وقال بعضهم: إن الله أمهله لحكمة.

ونسى هؤلاء أن الله يختبر عباده ولا يرضى لعباده أن يختبروه، فقد روى فى الأثر أن الشيطان جاء لعيسى ابن مريم عليه السلام وهو على قمة جبل يتعبد لله.

فقال له: هل تؤمن بالله وقدره وقدرته.

قال عيسى له: نعم،.

قال الشيطان له: فألق بنفسك من قمة هذا الجبل والله ينقذك.

فقال عيسى للشيطان إن الله يختبر العبد ولكن العبد لا يمتحن الله.

فعاد الطالب الملحد إلى بيته وأعدت والدته للغداء. وانتظروه، وذهب

الطالب لكى يغسل يديه ووجهه بالماء، إذا هو يسقط على الأرض جثة هامدة.

وأثبت الطب الشرعى أن موته نتيجة دخول الماء فى أذنه.

وعلق الدكتور عبد الرازق نوفل على تلك الحادثة يقوله: أبى الله إلا أن يموت كما يموت الحمار.

وذلك لأن الحمار والحصان إذا دخل فى اذنيه الماء مات من فوره.

قلت: لقد كانت الأفكار الإلحادية منتشرة فى تلك الفترة الزمنية التى حدثت فيها تلك القصة، وكان الفكر الشيوعى الملحد قد ساد الكثير من الدول وظن البعض أنه النجاة والفوز بالدنيا، والعيشة الرغدة لكل الناس، ونسى هؤلاء أن أصحاب هذا الفكر الإلحادى هم اليهود، فهم الذى جاءوا بالشيوعية فى بلاد الروس وهم الذين هدموها أيضاً بعد أن أشاعوا الكفر والإلحاد واعتاد الناس على البواح به دون خجل أو خوف من الله، «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين».

(١) نشرت الواقعة فى المجلة العربية عدد صفر ١٤١٣ هـ.. والقصة حدثت فى جامعة عين شمس.

(١١٣) جزاء الزوجة العاصية لربها وزوجها

ذكر الحاكم فى المستدرك عن سعيد بن سلمة قال بينما امرأة عند عائشة رضى الله عنها إذ قالت: بايعت الله ورسوله ﷺ على أن لا أشرك بالله شيئاً ولا أسرق ولا أزنى ولا أقتل ولدى ولا آتى ببهتان أفتريه من بين يدى ورجلى ولا أعصى فى معروف.

فوفيت لربى ووفا لى ربى، فوالله لا يعذبنى الله.

فأتاها فى المنام ملك فقال لها: كلا، إنك تتبرجين، وزينتك تبدين، وخيرك تكندين، وجارك تؤذين، وزوجك تعصين.

ثم وضع أصابعه الخمسة على وجهها، وقال: خمس بخمس، ولو زدت لزدناك.

فأصبحت وأثر الأصابع على وجهها.(١)

وكان ذلك جزاء لها على كذبها على الله ورسوله ﷺ وادعائها بالوفاء بما قطعته على نفسها من البيعة على الطاعة.

(١) رواه الحاكم فى المستدرك والبيهقى بنحوه فى دلائل النبوة.

(١١٤) نهاية من آذى آل البيت النبوى

ذكر القاضى التنوخى رحمه الله عن أبيه قال: حدثنى أبو بكر الصولى أن عبد الله بن عبد الله طاهر حدثه قال: لما عاد محمد بن عبد الله أخى، من مقتل يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين العلوى رضي الله عنه، دخلت عليه يوماً وهو كئيب مطأطئ الرأس وجواريه قيام يتجاسرن على مسألته وأخته واقفة، فقلت لها: ماله؟

قالت: رأى رؤيا هالته.

فتقدمت إليه وقلت: أيها الأمير، روى عن النبى ﷺ أنه قال: إذا رأى أحدكم فى منامه ما يكره، فليتحول من جنبه إلى الآخر وليقل ثلاثاً، أستغفر الله، ويلعن إبليس ويستعيذ بالله، ثم ينام.

فرفع رأسه وقال لى: ألست تذكر رؤيا طاهر بن الحسين - جدهم -؟

فقلت: بلى.

قال عبد الله: وكان طاهر بن الحسين وهو صغير رأى النبى ﷺ فى منامه فقال له: يا طاهر إنك ستبلغ من الدنيا أمراً عظيماً، فاتق الله واحفظنى فى ولدى، فإنك لاتزال محفوظاً ما حفظتنى فى ولدى.

فقلت: ما تعرض طاهر بن الحسين لقتال علوى قط.

قال: ولكن لما قاتل محمد بن عبد الله بن طاهر يحيى بن عامر العلوى

وقتله امتنع عنه رسول الله ﷺ فى منامه وكأنه يقول له: يا محمد نكثتم؟

فانتبه فزعاً من نومه وتحول واستغفر الله ثم تعوذ من إبليس ونام فرأى نفس الرؤية، ورسول الله ﷺ يقول له: يا محمد نكثتم؟ وقتلتم أولادى والله لا تفلحون بعدها أبداً.

وانتبه من نومه واندفع فى البكاء، ولم يمض عليه وقت إلا وقد ومات كمداً، عام ٢٥٣ هـ.

ودبت الفرقة فى بيت طاهر بن الحسين وذهبت الإمارة منهم بعد ذلك.(١)

(١) يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عن آل البيت ظهر بالكوفة عام ٢٥٠ هـ واجتمع عليه الناس وبايعوه فقاتله والى بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وقتله فى المعركة.

(١١٥) نهاية من سب الصحابة

ذكر ابن قيم الجوزية رحمه الله عن القيروانى فى كتاب البستان عن بعض السلف قال: كان لى جار يشتم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما، فلما كان ذات يوم أكثر من شتمهما، فتناولته وتناولنى - أى تشاجرا معا - فانصرفت إلى منزلى وأنا حزين مغموم فنمت، وتركت العشاء - أى طعام العشاء - فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام، فقلت: يا رسول الله فلان يسب أصحابك؟

قال: من أصحابى؟

قلت: أبو بكر وعمر.

فقال: خذ هذه المدية - سكين - فاذبحه بها.

فأخذته فأضجعته وذبحته، ورأيت كأن يدى أصابها من دمه، فألقيت المدية وأهويت بيدى إلى الأرض لأمسحها، فانتبهت وأنا أسمع الصراخ من نحو داره، فقلت: ما هذا الصراخ.

قالوا: فلان مات فجأة.

فلما أصبحت جئت فنظرت إليه فإذا خط موضع الذبح.

(١١٦) اسودَّ نصف وجهه

ذكر ابن أبى الدنيا عن شيخ من قريش قال: رأيت رجلاً بالشام قد اسود نصف وجهه وهو يغطيه، فسألته عن ذلك.

فقال: قد جعل الله علىَّ أن لا يسألنى أحد عن ذلك إلا أخبرته به، كنت شديد الوقيعة فى على بن أبى طالب رضي الله عنه - أى يسبه - فبينا أنا ذات ليلة نائم إذ أتانى آت فى منامى فقال لى:

أنت صاحب الوقيعة فىَّ، فضرب شق وجهى، فأصبحت وشق وجهى أسود كما ترى(١).

(١) انظر المنامات لابن أبى الدنيا.

(١١٧) عقاب من اغتاب مسلماً

ذكر ابن القيم رحمه الله عن ربيع الرقاشى قال: آتانى رجلان فقعدا إلىَّ فاغتابا رجلاً، فنهيتهما.

فآتانى أحدهما بعد ذلك فقال: إنى رأيت فى المنام كأن رجلاً زنجياً آتانى بطبق عليه لحم خنزير لم أر لحماً أسمن منه، فقال لى: كُلْ.

فقلت له: آكل لحم خنزير!!

فتهددنى فأكلت، فأصبحت وقد تغير فمى.

فلم يزل يجد ريح فمه متغيراً شهرين.

قلت: ولقد ذكر القرآن الكريم أن الذى يغتاب المسلمين كأنما يأكل لحومهم أى يأكل لحم الإنسان وهو محرم عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٢).

والغيبة والنميمة من الذنوب الكبيرة التى يقع فيها الناس إلا من رحم ربى.

فنسأل الله أن يحفظ ألسنتنا عن الغيبة والنميمة والكذب إنه القادر على ذلك.

(١١٨) نهاية لص على يد لص آخر

ذكر ابن الجوزى فى الأذكياء أن لصا قال: دخلت مدينة فطلبت شيئاً أو سرقة، فوقعت عينى على صراف موسر، فمازلت أحتال حتى سرقت كيساً له من محله وانصرفت.

فما جزت غير بعيد، إذ أنا بعجوز معها كلب، قد وقعت فى صدرى واحتضنتى كأنها تعرفنى وتقول: يا بنى فديتك، بالله انظروا إلى الكلب قد عرفه.

فعجب الناس من ذلك حتى تشككت فى نفسى وقلت: لعلها أرضعتنى وأنا لا أعرفها.

وقالت العجوز: اذهب معى إلى البيت، اقم عندى اليوم.

فلم تفارقنى حتى مضيت إلى بيتها.

ووجدت عندها فى البيت أحداث يشربون ويأكلون، فرحبوا بى وأجلسونى معهم، وجلست معهم أشرب وأسقيهم حتى ناموا ونام كل من فى الدار وذهبت كى أخرج، فوثب الكلب وثبة الأسد، وصاح وجعل يتراجع وينبح ألى أن انتبه كل نائم، فخجلت وعدت إلى البيت ونمت.

وفى اليوم التالى فعلت مثلما فعلت بالأمس وحين أردت الهرب منهم عارضنى الكلب حتى أيست من الخلاص منهم، فجعلت احتال عليهم فقلت:

أتأذنون لى، فإنى على عجل من أمرى.

فقالوا: الأمر إلى العجوز.

فاستأذنتها، فقالت لى: هات الذى أخذته من الصراف وامض حيث شئت ولا تقم فى هذه المدينة، فإنه لا يتهيأ لأحد فيها عمل.

فعلم اللص أن العجور هى شيخ اللصوص فى المدينة، وأنه دخل حدود اختصاصها، ولذلك فقد احتالت عليه حتى ادخلته بيتها وجعلت الكلب عليه حارسا.

فأخرج اللص الكيس الذى أخذه من الصراف وأعطاه للعجوز التى أخرجته من بيتها وأوصلته إلى حدود المدينة والكلب ينظر إليه.

(١١٩) نهاية الزوجة الخائنة

بينما الخليفة العباسى المنصور جالس فى إحدى قباب مدينة المنصور فرأى رجلاً يجول فى الطرقات ملهوفاً، فأرسل إليه من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنه خرج فى تجارة وكسب منها مالاً كثيراً وأنه رجع إلى زوجته ودفع المال إليها، ثم ذكرت له أن المال سرق من المنزل ولم يجد فى المنزل أى دليل على دخول أحد بغرض السرقة.

فقال له الخليفة: منذ كم تزوجتها.

قال: منذ سنة.

قال: هل تزوجتها بكراً أم ثيباً؟

قال الرجل: ثيباً.

قال الخليفة: هل هى شابة أم مسنة؟

قال: شابة.

فدعا الخليفة بقارورة طيب، وقال: تطيب بهذا فإنه يذهب همك.

فأخذ الرجل قارورة الطيب وذهب إلى زوجته وأعطاها إياها وقال لها إنها من عند الخليفة هدية.

وقال المنصور لجماعة من أتباعه: آقعدوا على أبواب المدينة فمن مرَّ بكم وشممتم منه روائح هذا الطيب فأتونى به.

وقد صدق حس وشك الخليفة فى أن الزوجة خائنة وعلى علاقة برجل آخر أعطته المال، وسوف تعطيه قارورة الطيب.

وبالفعل أعطت المرأة الرجل الذى تحبه قارورة الطيب كى يتطيب بها وقالت له: تطيب بهذا الطيب.

فتطيب به الرجل، وبينما هو يجتاز ببعض أبواب المدينة فاحت منه روائح الطيب فأخذه رجال الخليفة وجاءوا به إليه فقال له الخليفة: من أين استفدت هذا الطيب؟

فتلعثم الرجل فى كلامه، فسلمه إلى صاحب الشرطة وقال له: إن أحضر كذا وكذا من الدنانير، فخذ منه وإلا فاضربه ألف سوط.

فلما هدد صاحب الشرطة الرجل بضربه بالسياط كما أمر الخليفة أذعن برد الدنانير وأحضرها مثلما أخذها من المرأة الخائنة، ودعى الخليفة الزوج وقال له: أرأيت إن رددت إليك الدنانير أتحكمنى فى امرأتك؟

قال الرجل: نعم يا أمير المؤمنين.

قال الخليفة: ها هى دنانيرك، وقد طلقت امرأتك.

ثم قص عليه الخبر(١).

---

(١) انظر كتاب ثمرات الأوراق للحموى، بتصرف يسير.

(١٢٠) جزاء خائن الأمانة

ذكر الحموى فى ثمرات الأوراق أن رجلا قدم إلى بغداد ومعه عقد يساوى ألف دينار، فأراد بيعه فلم يجد من يشتريه، فجاء إلى عطار موصوف بالخير والدين، وأودع عنده العقد أمانة، وذهب الى أداء فريضة الحج.

وعاد الرجل بعد الحج إلى بغداد ومعه هدية للعطار، فلما طلب منه الأمانة التى استودعها عنده أنكر العطار معرفته به وأنه لم يأخذ منه شيئاً وطرده من دكانه، واجتمع الناس وقالوا للرجل: ويلك هذا رجل صالح، فكيف تكذب عليه؟!

وأشار عليه البعض أن يذهب إلى الوالى يشتكى العطار، فكتب قصته للوالى وجعلها فى قصبة وعرضها عليه.

فقال له الوالى: اذهب غداً واجلس فى دكان العطار ثلاثة أيام حتى أمر عليك فى اليوم الرابع، فأقف وأسلم عليك، فلا ترد على إلا السلام، ثم أعلمنى بما يقول العطار بعد ذلك.

وفعل الرجل ما أمره به الوالى فى موكبه، فلما رأى الرجل وقف وقال له: السلام عليكم. فرد عليه الرجل السلام ولم يتحرك.

فقال الوالى: يا أخى تقدم إلى العراق، ولا تأتى لتزورنا وتعرض علينا حوائجك فقال الرجل له: إن شاء الله.

وانصـرف الوالى والعسكر معـه، واندهل العطار وأيقن أن الرجل الذى أخذ منه العقد على معرفة بالوالى وخشى على نفسه فالتفت للرجل وقال له: يا أخى، متى أودعتنى هذا العقد؟ وفى أى شىء هو ملفوف لعلى أتذكر.

فقال له أوصافه كذا وكذا.

فقام العطار وفتش الدكان وأخرج جراباً فيه العقد وقال: الله يعلم أننى كنت ناسياً ولو لم تذكرنى به ما تذكرت.

فأخذ الرجل العقد وذهب الى الوالى وقص عليه القصة.

فأمر الوالى بصلب العطار على باب دكانه ونودى عليه: هذا جزاء من استُودع فجحد.

وانصرف صاحب العقد إلى بلاده ومعه العقد.

(١٢١) أهلكه الله بالجدرى

ذكر ابن أبى الدنيا عن أبى بكرة بن أمية أنه كان عندهم فى بلاد بنى ضمرة جار من جهينة فى أول الإسلام، وكان رجل منهم خبيث ظالم يقال له: ريشة، ونظراً لظلمه وعدوانه على الناس طردوه من قبيلتهم وتبرأوا منه.

وكان هذا الرجل يعدو على جارهم من جهينة فيسرق منه الإبل وغير ذلك، فيشكو ذلك الجهينى لهم من أفعال «ريشة» المعتدى الظالم.. فقالوا له لقد خلعناه وتبرأنا منه لسوء فعله، فإن قدرت على قتله فاقتله فإنه مهدور الدم.

واستمر هذا الظالم «ريشة» فى التعدى على هذا الرجل فأخذ منه الإبل الكثيرة ولم يقدر عليه، فجاء الرجل إلى نادى بنى ضمرة وهو متألم أشد الإيلام تكاد الحسرة تفتت قلبه وأنشد قائلاً:

أصادق ريشة يا آل ضمرة
أن ليس لله عليه قدره
ما إن يزال شارف وبكره
يطعن منها فى سواء الشفره
بصارم ذى رونق أو شفره
لاهم إن كان معداً فجره

فاجعل أمام العين منه جدره
تأكله حتى توافى الهجره

فاستجاب الله دعاء هذا المظلوم ونصره على ظالمه فأصاب «ريشة» جدرى وهو مرض جلدى فى رأسه.

وخرج الناس إلى الحج، وبقى الظالم يتلوى من الألم والناس ينظرون إليه، وانتشرت البثرة فى رأسه حتى أكلتها وهلك، وارتاحت منه الأرض والعباد وصار عبرة لأولى الأبصار والألباب(١).

وتلك النهاية الطبيعية للأشقياء فى الدنيا، وإن طالت أعمارهم إلا أن يتوبوا إلى الله توبة نصوحًا ويردوا ما أخذوا ظلماً من الناس، وإلا فإن الظلم عاقيته الندم فى الدنيا والخسران فى الآخرة وهو الندم الأكبر، نسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة، ونعوذ به أن نَظلم أو نُظلم إنه ولى ذلك والقادر عليه.

(١) انظر مجابى الدعوة لابن أبى الدنيا.

(١٢٢) منكر الحديث النبوى والحية

قال القاضى أبو الطيب: كنا يوماً بجامع المنصور فى حلقة علم، فجاء شاب من خراسان فذكرت حديث أبى هريرة فى المطر، فقال الشاب الخراسانى: غير مقبول.

أى أنه أنكر الحديث ولم يقبله ليس لعلة فى الحديث وإنما أنكر الحديث ذاته أى كلام النبى ﷺ.

يقول الراوى: فما استتم كلامه حتى سقطت من سقف المسجد حية، فنهض الناس هاربين، وتبعت الحية ذلك الشاب من بين الناس، فقيل له: تب، تب.

فقال الشاب: تبت.

فذهبت الحية، فلا ندرى أين ذهبت[١].

قلت: لقد أنقذ هذا الشاب نفسه بالتوبة فى الدنيا، فإن منكر الحديث كمنكر القرآن كافر بالدين قال تعالى: «ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهو..» والآيات كثيرة فى هذا الأمر، وقد ظهرت طائفة فى عصرنا هذا تدعو إلى إنكار الحديث الذى لا يقبله عقولهم حتى ولو كان حديثاً صحيحاً فى البخارى ومسلم ويقولون: «السنة هى القرآن»، وأى ما جاء فى القرآن هو السنة، فانكروا أحاديث كثيرة صحيحة ظناً منهم أنها تخالف العقل تارة أو تخالف القرآن تارة أخرى فى زعمهم.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

(١٢٣) لا أفطر حتى أنصرك

ذكر ابن كثير فى تاريخه أن رجلاً اشتكى إلى القائد المسلم المظفر محمود بن سبكستين أن ابن أخته يهجم عليه فى داره ويعتدى على زوجته فى كل وقت، وأنه لا يقدر عليه وقد شكاه إلى كل أمير ووزير وصاحب شأن فى الدولة فما أنصفوه.

فلما سمع القائد محمود القصة غضب غضباً شديداً وقال للرجل: متى جاءك الفتى فأتنى ولا تسمعن من أحد منعك الوصول إلىَّ فى الليل أو النهار.

وأخبر القائد حرسه وجنوده أن يدخلوا الرجل فى أى وقت جاءه.

وبعد يومين جاء الفتى المعتدى القائد محمود فى الليل، فهب الرجل إلى القائد ودخل عليه ليلاً وأيقظه من النوم، فقام القائد معه إلى منزله، فلما دخل المنزل وجد الغلام مع المرأة فى فراش واحد وعندهما شمعة مشتعلة، فتقدم القائد الملك وأطفأ الشمعة ثم اجتر رأس الفتى - ابن أخته - وقال للرجل: الحقنى بشربة ماء.

فأتاه الرجل بالماء فشرب، وسأله: بالله عليك، لِمَ أطفأت الشمعة؟

قال: ويحك إنه ابن أختى وإنى كرهت أن اشاهده حالة الذبح فأرحمه فأردت الا يأخذنى فى الحق لومة لائم.

فقال له الرجل: وبِمَ طلبت الماء سريعاً؟

قال: إنى آليت على نفسى منذ أخبرتنى أنه يؤذيك أن لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أنصرك، وأقوم بحقك فكنت عطشان هذه الأيام كلها.

فدعا الرجل للقائد الملك.

ولم يشعر أحد بما فعله القائد الملك محمود.

وهكذا يكون فعل الحاكم العادل الذى لا يفرق بين أقاربه وعامة الناس فى حدود الله.

(١٢٤) اللهم إن كان كاذباً فابتليه

ذكر ابن الجوزى عن مسلم بن إبراهيم أن رجلاً أتى حبيب الفارسى فقال له: يا حبيب أسمع مقالتى، قال: أسمع.

قال: إن لى عليك مبلغاً من المال قدره ثلاثمائة درهم لابد من الوفاء بها وإلا رفعت أمرك للقاضى لأفضحك بين الناس.

قال له حبيب: يا أخى من أين صارت هذه الدراهم لك علىَّ وما تعاملت معك بمعاملة ولا طلبت منك قرضاً، وإنما تريد أخذها ظلماً وعدوانا.

قال: نعم لى عليك ثلاثمائة درهم.

فقال أنذرك إلى يوم غد أراجع نفسى وأتفقد أوراقى فلعلنى نسيت.

فرجع حبيب الفارسى إلى داره وبحث فى أوراقه فلم يجد شيئاً، فلما كان من الليل توضأ وصلى فى الثلث الأخير منه ورفع يديه ودعا بعد صلاته: اللهم إن كان صادقاًفأدِّ إليه، وإن كان كاذباً فابتليه فى يده ليعلم الناس صدقى ويعرفوا كذبه.

فلما أصبح جئ بالرجل وقد حمل على الأعناق إذا أصيب بمرض الفالج - الشلل النصفى -

وقال له: أما عرفتنى أنا الذى جئتك بالأمس وظلمتك بادعائى أن لى عندك ثلاثمائة درهم والله ما كان لى عندك شىء وإنما أردت أن أحرجك

لتستحى من الناس فتعطينى.

فقال له حبيب: هل تعود مرة ثانية وتبتلى مسلماً بمثل هذه البلوى؟

قال:لا.

فرفع حبيب يديه إلى السماء ثم دعا ربه قائلاً: اللهم إن كان صادقاً فألبسه العافية.

فقام الرجل على الأرض يمشى وكأنه لم يكن به شىء كأنما نشط من عقال.[1]

(١) انظر صفة الصفوة لابن الجوزى (ومجابو الدعاء) لابن أبى الدنيا.

(١٢٥) عدالة الله لها وجوه كثيرة

كان رجل يعمل جزاراً فى بغداد وأثناء عودته فى آخر الليل قرب بزوغ الفجر، وعلى بعد أمتار من داره سمع صوت استغاثة، فهرول نحو الصوت، فوجد رجلا مضرجا فى دمائه يلفظ أنفاسه الأخيرة فى وسط بركة من الدماء، فحاول إنقاذه فتلطخت يداه وثيابه بالدماء وسقطت منه سكين كان يحملها فتلوثت بدماء القتيل الذى لفظ أنفاسه ومات.

وأصيب الرجل بصدمة عصبية لم يكد يصحو منها إلا وأصيب بأخرى حين وجد الشرطة خلفه يمسكون به وقد أجتمع الناس حوله الكل يجمع على أنه القاتل!!.

وتم التحقيق معه وأجمع الشهود أنه هو القاتل ولم يصدقوه، وأحيل للمحاكمة ولم تفلح صرخاته أنه برئ، وحكمت المحكمة عليه بالإعدام شنقاً حتى الموت.

ويوم تنفيذ الحكم فيه صاح الجزار قبل أن تسحب اللوحة من تحت رجليه: فتشوا عن قاتل صاحبكم، فلست قاتله، إنما أنا أشنق لأننى قتلت امرأة وطفلها منذ سنوات واستطعت الهروب من عدالة الأرض والبشر لكن عدالة الله فى السماء نالت منى فأنا أستحق الشنق ولكن فى غير هذه القضية.

ونفذ فيه حكم الإعدام ونال عقابه على جريمة لم يرتكبها وإنما للعدالة وجوه أخرى(١).

---

(١) انظر نشوار المحاضرة للتنوخى. باختصار.

(١٢٦) نهاية الغادر وامرأته

كان هناك تاجر متوسط الثراء تقى عابد لله، وفى إحدى سفراته بتجارته قبل الحرب العالمية الأولى حدثت له تلك القصة، حين وصل إلى قرية صغيرة فى طريقه من الموصل إلى حلب، فطرق أحد البيوت كعادة الناس وقتها حيث لا توجد فنادق ولا مطاعم، فلما خرج إليه رب الدار، أخبره أنه ضيف الله، ويريد أن يبيت الليلة عنده حتى يسافر فى الصباح.

ورحب صاحب الدار بضيفه وقدم له الطعام وكان صاحب الدار فقيراً، إلا أنه قام بواجب الضيافة، وخلال اجتماع العائلة حول الضيف علم صاحب الدار وزوجته أن التاجر يحمل معه مالاً كثيراً.

وأوى المضيف صاحب الدار إلى حجرته مع زوجته، وأوى التاجر للنوم فى حجرة ولد المضيف، فنام الولد فى فراشه فى الزاوية اليسرى للغرفة والضيف فى الفراش الناحية الأخرى.

وفى غرفة صاحب الدار دار حوار بينه وبين زوجته حيث قالت لزوجها: يا فلان إلى متى نبقى فى عوز شديد، هذا الضيف غنى ونحن بأشد الحاجة إلى ماله، وإننا مقبلون على مجاعة لا يستطيع الأغنياء التغلب عليها إلا بمشقة.

وظلت تحدث زوجها وتحرضه على قتل التاجر وأخذ ماله وتردد الرجل وألحت عليه المرأة وكان الشيطان ثالثهما، فزين للرجل قول المرأة ووافق على قتل الضيف وأخذ ماله، وكان آخر كلام زوجته له: إن ما تفعله ضرورة لإنقاذنا وإن الضرورات تبيح المحظورات!!.

واقتنع الرجل وعزم على قتل الضيف وسلب ماله، وفى الثلث الأخير من الليل والهدوء يسود الدار والأنوار مطفأة، قصد الرجل خنجره وشحذه، ثم توجه نحو الغرفة التى بها الضيف ثم توجه فى الظلام نحو الزاوية اليسرى حيث الضيف وتحسس جسمه ثم ذبحه كما تذبح الشاه.

وجاءت الزوجة تعاون زوجها على سحب الجثة الهامدة إلى الخارج، فلما خرجا بها اكتشفا أنهما ذبحا ابنهما الوحيد.

وصرخت المرأة وشهق الرجل وسقطا مغشيا عليهما واستيقظ التاجر والجيران على صراخهما ليجدوا الرجل وزوجته راقدين ألى جانب جثة ابنهما القتيل.

وجاءت الشرطة إلى الدار وبعد أن أفاق الرجل وامرأته اعترفا أنهما أرادا قتل الضيف فقتلا ابنهما.

وحكى الضيف أن الابن كان يجلس على فراشه وهما يتسامرون حتى غلبه النعاس فنام الولد على فراش الضيف وانتقل الضيف فنام على فراش الابن، ولهذا أخطأ صاحب الدار هدفه، ونال عقابه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

إنها قصة حقيقية.

إنها العدالة الإلهية.

(١) انظر المصدر السابق.

(١٢٧) كشف الله سره

ذكر ابن الجوزى عن أبى القاسم على بن المحسّن عن أبيه قال: بلغنى أن الخليفة المعتضد بالله كان يوماً جالساً فى بيت يبنى له، يشاهد الصناع، فرأى فى جملتهم غلاماً أسود، منكر الخلقة شديد المزاح، يصعد السلالم كثيراً ويحمل أضعاف ما يحمل الصناع والعمال، فأنكر الخليفة أمره وسأله عن سبب ذلك فتلجلج، فنظر لابن حمدون نادم الخليفة وقال له: أى شىء يقع لك فى أمره.

فقال: ومن هذا حتى صرفت فكرك إليه؟

ولعله لا عيال له فهو خالى القلب؟!

قال الخليفة: ويحك، قد خمنت فى أمره تخمينا ما أحسبه باطلاً، إما أن يكون معه دنانير ظفر بها دفعة من غير وجهها أو يكون لصّاً يتستر بالعمل فى الطين.

فأمر بإحضار الأسود، وأمر بضربه بالمقارع نحو مائة مقرعة وقرره وحلف إن لم يصدقه، ضرب عنقه وأحضر السيف والنطع.

فقال الأسود: لى الأمان؟

فقال: لك الأمان، إلا ما يجب عليك فيه حدٌّ.

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

فلم يفهم الأسود ما قاله الخليفة وظن أنه قد أمنه فقال له:

ـ كنت أعمل فرَّانا، وكنت منذ شهور هناك جالساً، فاجتاز بى رجل فى وسطه كيس نقود، فتبعته وهو لا يرانى، فجاء بجوار الفرن، وهو لا يعلم مكانى وحل الكيس وأخرج الدنانير منه، فثاورته وكتفته وسددت فاه، وأخذت الكيس بالنقود، وحملته وطينت عليه، فلما كان بعد ذلك أخرجت عظامه وطرحتها فى نهر دجلة، وأخذت الدنانير معى يقوى بها قلبى.

فأمر الخليفة المعتضد من أحضر الدنانير من منزل الأسود، وعلى الكيس مكتوب: لفلان ابن فلان، فنودى فى البلد باسمه، فجاءت امرأة وقالت: هذا زوجى ولى منه هذا الطفل وقد خرج منذ كذا ومعه كيس فيه ألف دينار ولم يعد حتى الآن.

فأعطاها الخليفة الدنانير وأمر بضرب عنق الأسود واخبرها بموت زوجها(١).

(١) الأذكياء لابن الجوزى.

(١٢٨) على الباغى تدور الدوائر

ذكر القاضى التنوخى عن أبى القاسم إبراهيم بن على الصفار قال:

خرجت من نصيبين بسيف نفيس، كنت ورثته عن أبى، أقصد به العباس بن عمر السلمى أمير ديار ربيعة وهو برأس عين ـ مدينة من مدن الجزيرة العربية ـ لأهديه إليه.

فصحبنى فى الطريق شيخ من الأعراب فسألنى عن أمرى، فأنست به وحدثته الحديث وكنا قربنا من رأس عين ودخلناها وافترقنا.

وصار الأعرابى يجيئنى ويراعينى ويسأل عن حالى، فأخبرته أن الأمير قبل هديتى وأجازنى بألف درهم وثياب وإنى أريد أن أخرج فى يوم كذا وكذا.

فلما كان ذلك اليوم خرجت عن البلد راكباً حماراً فلما دخلت فى الصحراء، إذا بالشيخ الأعرابى على دابة صغيرة ضعيفة متقلداً سيفاً، فلما رأيته استربت به وأنكرته ورأيت الشر فى عينيه فقلت: ما تصنع ها هنا؟

فقال: قضيت حوائجى وأريد الرجوع وصحبتك عندى آثر من صحبة غيرك.

فقلت له: على اسم الله.

ومازلت متخوفاً منه وهو يجتهد أن أدنو منه وأؤانسه، فلا أفعل وكلما دنا منى بعدت عنه إلى أن سرنا شيئاً كثير وليس معنا ثالث.

وحدث ما كنت أتوقعه فقد جرد سيفه وقصدنى، فرميت بنفسى على الحمار وعدوت.

فلما خاف أن أفوته صاح: يا أبا القاسم إنما مزحت معك، فقف.

فلم ألتفت إليه، وعدوت وأسرع هو خلفى فوجدت موضعا فى الصخر جعل مثل القبر، فدخلت فيه واختبأت فيه، ولحق بى الأعرابى ودخل وجذبته وأسقطه فى القبر ونفرت الدابة، وأغلقت عليه القبر وركبت الدابة وهممت بالسير وأخذت معى دابته الصغيرة.

فلما رأى الأعرابى أنه سيموت قال: يا أبااللقاسم اتق الله فى أمرى فإننى أتلف.

فقلت: تتلف أنت أهون على من أتلف أنا.

قال: فأخرجنى وأنا أعطيك أماناً أن لا أتعرض لك بسوء.

فقلت: لم ترعها أنت وإيمانك فاجرة لا أثق بها.

وركبت دابته وأخذت حمارى وقلت له: الوعد بعد أيام بيننا هنا.

فأخذ الأعرابى يبكى ويستغيث ويقول:

- قتلنى والله.

وتركته ومضيت فى طريقى حتى وصلت إلى بلدتى وبعت دابته، وبعد سنة خرجت فى سفر إلى «رأس عين» ومررت بالقبر الحجرى ودخلته فإذا الأعرابى قد أصبح عظاماً فحمدت الله على السلامة، وحركته برجلى فوجدت معه كيس به خمسمائة درهم فأخذتها وانصرفت.

(١) نشوار المحاضرة للتنوخى باختصار وتصرف.

(١٢٩) جزاء من لطم امرأة على وجهها

عن أبى قلابة رحمه الله قال: كنت فى رفقة بالشام وسمعت صوت رجل يقول: يا ويلاه النار».

فقمت إليه، فإذا رجل مقطوع اليدين من الحقوين أعمى العينين، منكباً على وجهه.

فسألته عن حاله فقال:

كنت ممن دخل على عثمان بن عفان - رضي الله عنه - الدار فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها، فقالت: «قطع الله يديك ورجليك وأعمى عينيك وأدخلك النار». فأخذتنى رعدة عظيمة، وخرجت هارباً، فأصابنى ما ترى ولم يبق من دعائها إلا النار.

قلت له: بعداً لك وسحقاً(١).

لقد حدثت تلك القصة حين حوصر الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه بالمدينة المنورة فى داره ومنع عنه الطعام والشراب ظلماً وعدواناً، من رعاع المسلمين وانتهت الفتنة بقتله شهيداً.

وليعلم الظالم أين كان أن الله قادر عليه وأن انتقامه آتٍ.

فقد رأى الرسول ﷺ الصحابى عبد الله بن مسعود يضرب غلاماً له

(١) ذكره المحب الطبرى فى الرياض النضرة فى مناقب العشرة.

بالسوط فقال له: «اعلم أبا مسعود أن الله عز وجل أقدر عليك منك على هذا الغلام».

فقال ابن مسعود: يا رسول الله، هو حر لله تعالى.

فقال ﷺ: «أما لو لم تفعل للفحتك النار، أو لمستك النار»(١).

ونحن نرى فى زماننا هذه الحماة تضرب زوجة ابنها ويشاركها زوجها فى ذلك فى حين أنهما لا يقدران على تأديب أولادهما.

ونرى صاحب العمل يضرب من يعمل لديه من الغلمان.

بل ونرى العسكر يضربون الناس وهكذا.. إنه الظلم الذى عاقبته الندم.

وينسى الظالمون أن الله من فوقهم قاهر وجبار وسيأتى يوم تشل فيه أيديهم التى بطشوا بها.

وصدق الشاعر حين قال:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا

فالظلم يرجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم مُنتبه

يدعو عليك وعين الله لم تنم

نعم فعين الله لم تنم ولن تنام وحتماً سيندم الظالم على ظلمه يوم لا ينفع الندم.

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذى.

(١٣٠) جزاء من استهزأ بالحديث النبوى

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣ - ٤).

فكلام الرسول ﷺ ليس كلاماً عادياً وإنما هو من وحى الله، فقد أوتى القرآن ومثله معه، فالقرآن والسنة التى هى أقواله وأفعاله وتقريراته هما مصدران أساسيان للتشريع والدين الإسلامى.

قال زكريا بن عبد الرحمن البصرى: سمعت أحمد بن شعيب يقول: كنا عند بعض المحدثين بالبصرة، فحدثنا بحديث النبى ﷺ: أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع... الحديث»(١).

وفى المجلس يجلس معنا رجل من المعتزلة فجعل يستهزئ بالحديث فقال: والله لأطرقن غداً نعلى بمسامير فأطأ بها أجنحة الملائكة.

ففعل ومشى فى النعلين، فجفت رجلاه جميعاً ووقعت فيهما الأكلة(٢).

أى أصابت قدميه الأكلة وهى الغرغرينة فقطعت رجلاه، فكان عقاباً على استهزائه بكلام رسول الله ﷺ، نسأل الله السلامة.

وذكر الطبرانى أيضاً عن مثل هذه القصة قال: سمعت زكريا بن يحيى الساجى قال: كنا نمشى فى بعض أزقة البصرة إلى باب بعض أهل العلم فأسرعنا المشى وكان معنا رجل ماجن متهم فى دينه فقال: ارفعوا أرجلكم

(١) الحديث رواه أبو داود والترمذى وابن حبان وحسنه الألبانى.

(٢) انظر فضل العلم. د. محمد سعيد رسلان، والمجالسة، أحمد بن ودان المالكى.

عن أجنحة الملائكة لا تكسروها.

كالمستهزئ، فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط»[١].

قلت: والمستهزئ بالسنة النبوية كافر بإجماع العلماء، مثله كمنكرها تماماً وأشد فقد جمع بين الإنكار والاستهزاء.

وقد يستهزئ البعض بالحديث وهو لا يدرى ما يقول طناً منه أن الحديث يخالف العلم مثلاً أو يخالف العقل، فينكر الحديث ويستهزئ به مثل الذين ينكرون احاديث صحيحة مثل حديث الذبابة الشهير، ويقولون كيف يقول رسول الله ﷺ حديثاً مثل هذا، كيف أن الذبابة إذا وقعت فى شراب وغطست فيه لا تضر الشارب لأن فى أحد أجنحتها الداء وفى الآخر الدواء!! والعجيب أن العلماء فى المانيا عام ١٩١٧ م اكتشفوا أن جناح الذبابة الأيمن يحمل مضاداً حيوياً فريداً قوياً يقتل أى ميكروبات وجراثيم وأن الجناح الأيسر يحمل الميكروبات والجراثيم الضارة وأن نفع هذا يدفع ضرر ذلك، والأمثلة كثيرة فى هذا المجال،، فليحذر هؤلاء أن يكونوا من منكرى الحديث أو المستهزئين به.

(١) المصدر السابق.

(١٣١) جزاء من لطم وجه عثمان وهو ميت

عن محمد بن سيرين رحمه الله قال: كنت أطوف بالكعبة وإذا رجل يقول: اللهم اغفر لى وما أظن أن تغفر لى.

فقلت له: يا عبد الله ما سمعت أحداً يقول ما تقول.

قال: كنت أعطيت لله عهداً أن قدرت أن ألطم وجه عثمان - يقصد عثمان بن عفان رضي الله عنه - إلا لطمته.

فلما قتل ووضع على سريره فى البيت والناس يجيئون يصلون عليه، فدخلت كأنى أصلى عليه فوجدت خلوة، فرفعت الثوب عن وجهه ولحيته ولطمته فأيبس الله يدى اليمنى، فأصبحت كالخشبة لا تتحرك.

قال ابن سرين: فنظرت إلى يده فرأيتها يابسة.

قلت: وهكذا انتقم الله لخليفته الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد قتل مظلوماً وقد فوض أمره إلى الله ورفض أن يقتل مسلم دفاعاً عنه(١).

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير وتاريخ الطبرى والتاريخ للبخارى.

(١٣٢) ذكاء الخليفة المعتضد بالله

قال القاضى التنوخى: بلغنى أن الخليفة العباسى المعتضد بالله قام فى الليل لحاجته، فرآنى بعض الغلمان المردان، قد نهض عن ظهر غلام أمرد، ودب على أربعته حتى اندس بين الغلمان.

فجاء المعتضد، فجعل يضع يده على فؤاد - قلب - واحد بعد واحد - أى على الغلمان - إلى أن وضع يده على فؤاد ذلك الفاعل، فإذا به يخفق خفقاناً شديداً.

فوكزه برجله، فقعد، واستدعى آلات العقوبة فاعترف وأقر، فأمر بقتله(١).

لقد استطاع الخليفة المعتضد بذكائه وقوة ملاحظته من اكتشاف الفاعل الذى رآه فى الظلام ولم يتبين شكله وكان يرتكب الفاحشة، ورغم اختفاء الغلام إلا أن قلبه المضطرب الخائن دل عليه.

وكان الخليفة المعتضد مشهوراً بذكائه وشدته مع من يرتكب الفواحش.

(١) انظر نشوار المحاضرة للتنوخى.

(١٣٣) نهاية طاغية
على الطريق الزراعى

قصة واقعية فى عصرنا الحديث حدثت يعلمها الكثيرون وكتبوا عنها، وهى عبرة لكل أعوان الظالم فى كل زمان ومكان ومصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ (سورة إبراهيم: ٤٢ ـ ٤٣).

إنها قصة قائد السجن الحربى أيام الرئيس جمال عبد الناصر، وقد اشتهر عنه الجبروت والطغيان وقسوة التعذيب لمن وقع تحت يده فى المعتقل، وكان أداة طيعة فى يد سيده، فقد كان أشد طغيانا من الحجاج الثقفى، فقد كان الحجاج ظالماً ولكنه لم يكفر بالله، وأما هذا الطاغية فقد غره سلطانه وتجرأ على ذات الله عز وجل فقال للمعذبين فى المعتقل حين استغاثوا أمامه بالله عز وجل فقال هذا القائد الجلاد بصوت عال فى فناء السجن الحربى وسجلها له التاريخ الأسود: لو نزل الله من السماء لحبسته فى هذه الزنزانة. وذكر رقم زنزانة شهيرة يعذب فيها بعضهم.

وهكذا ختم هذا الجلاد على أعماله السوداء بخاتم أسود أوردته موارد التهلكة، فما هى نهايته؟!.

اقتص الله منه فقد غضب عليه سيده ومولاه عبد الناصر، فأدخله

السجن الحربى وحبس فى تلك الزنزانة التى قال إنه لو نزل الله تعالى إليه لحبسه فيها!! وذاق من الذل والمهانة الكثير.

وكانت نهايته وهو فى سيارته مسافراً ليزور أهله بينما هو فى الطريق الزراعى، فقد داهمته سيارة كبيرة جرارة تحمل أسياخا من الحديد المسلح، فالتهمته وأصبح كالعجين وقد اختلط لحمه ودمه بالحديد المسلح، وحمل إلى المستشفى وهو يخور كالثور ولم يستطع الأطباء إخراج أعواد الحديد منه ومات على ذلك، ودفن بلحمه وحديده فى قبره.

وهكذا كان قصاص الله فى الدنيا وينتظر العذاب المهين فى الآخرة ولم ينفعه رضا أسياده عليه(١).

(١) ذكر القصة الكثير ممن شاهدوها وذكروها لى وكذلك قالها الشيخ كشك رحمه الله فى خطبه ومذكراته.

(١٣٤) حمامتان تشهدان على القاتل

وقعت أحداث القصة فى مدينة حلب، فقد علم أحد أكابر اللصوص أن تاجراً للأغنام والمواشى قد قدم مدينة حلب ومعه قطعان الأغنام والأبقار والإبل أيام الحكم العثمانى.

بعد أن قام التاجر ببيع ما لديه من أغنام ومواشٍ وقبض ثمنها حمل ماله وامتطى بغلة وحوله الرعاة الذين جاءوا معه.

وما أن وصل إلى بطن الوادى، هجم عليه اللصوص بزعامة كبيرهم، وصاحت العصابة صيحة جعلت البغلة تلقى بالتاجر على الأرض، فأغمى عليه وانقض عليه زعيم اللصوص وأخذ المال الذى معه، وفر من معه من الرعاة هاربين، فتعقبهم أفراد العصابة.

وأفاق التاجر فإذا بزعيم العصابة يضع خنجره على رقبته يريد ذبحه، فاستغاث التاجر لعل أحداً يدركه، فلم يكن حولهما أحد من الناس، وتوسل إلى اللص الكبير أن يتركه بعد أن أخذ ماله، فلم تجد توسلاته شيئاً، فنظر يميناً وشمالاً، فلم ير إلا حمامتين فوق شجرة فقال لهما وهو يذبح:

«أيتها الحمامتان: اشهدا».

فضحك اللص الكبير وسخر منه وذبحه ثم قال للحمامتين: اشهدا!!

ومضى اللص إلى سبيله ومعه المال سعيداً فرحاً بما حققه من نصر وغنيمة، وعلم أهل التاجر بمقتله، وحاولوا معرفة قاتله فلم تفلح محاولات الشرطة وتحقيقاتها فى كشف سر الجريمة وحفظت وقيدت ضد مجهول.

ومرت السنوات ونسى الناس حادثة القتل والسرقة للتاجر.

لكن الله عز وجل لم يكن غافلاً عن القاتل، فظل القاتل يذكرها رغم إرادته، وكلما رأى الحمام يطير فوقه أو على الأشجار تذكر التاجر الذى قال للحمامتين: اشهدا.

وجاء يوم كشف السر حين دعى اللص إلى وليمة تضم الكثيرين من أهل البلد، ومدت الموائد عامرة بما لذ وطاب من الطعام والشراب، وجلس الناس حول المائدة العامرة وجلس اللص الكبير معهم، فإذا أمامه طبق فيه حمامتان محمرتان، فتذكر قصة التاجر والحمامتين، ونسى الوليمة وغرق فى تفكير عميق، ثم ضحك وقهقه بصوت عال ونسى من حوله، ولفت أنظار الناس الذين تركوا الطعام واتجهت أنظارهم إليه، وبشكل لا إرادى انطلق اللص الكبير دون إرادة منه يحدث من حوله بقصة قتله للتاجر وسرقته، وانقلب العرس والوليمة إلى محاكمة للص الذى أفاق على شيوع سره.

وأعيدت القضية مرة أخرى للتحقيق وكان الشهود كثيرين ضد اللص الذى لم يجد مفرا من اعترافه بما ارتكبه وحكم عليه بالإعدام.

وفى ليلة تنفيذ حكم الإعدام سأل أولاد اللص أباهم كيف كشفت سرك بعد كل هذه السنوات؟

كان هذا السؤال يتردد كثيراً بين الناس، وكان جواب اللص الكبير:

إن إرادة قاهرة شلت إرادتى وأجبرتنى على الكلام، لم أتكلم بلسانى بل بلسان الحمامتين اللتين كانتا فى الطبق أمامى فى دعوة العشاء.

وبعد أن تم شنقه أمام الناس، علت التكبيرات وحامت أسراب الحمام فوق رأسه المصلوب، والناس من حوله تقول: لقد شهدتها.

(١) انظر كتاب «تدابير القدر» لمحمود شيت خطاب بتصرف.

(١٣٥، ١٣٦، ١٣٧) نهاية قتلة أحمد بن نصر

دخل عبد العزيز بن يحيى الكتانى على الخليفة العباسى المتوكل، فقال له: يا أمير المؤمنين، ما رأيت أو مارئى أعجب من أمر الواثق بالله ـ الخليفة العباسى ـ، قتل أحمد بن نصر، وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دفن.

وكان الخليفة الواثق بالله قد قتل أحمد بن نصر وهو من العلماء الأتقياء بوشاية من وزرائه لرفضه القول ببدعة خلق القرآن.

ووجل الخليفة المتوكل من كلام عبد العزيز الكتانى وساءه ما سمع فى أخيه الواثق بالله[١].

«فأراد التحقق بسؤال وزراء وعلماء أخيه الذى أفتوا بقتل أحمد بن نصر رحمه الله.

وكان الواثق بالله قد أمر بقتل أحمد بن نصر وصلبت جثته بمدينة الرى.

واستمرت مصلوبة على الخشب حتى مات الخليفة الواثق وجاء أخوه

(١) الواثق بالله هارون بن المعتصم بن الرشيد تولى الخلافة بعد أبيه، وقتل العالم الفقيه أحمد بن نصر الخزاعى وكان من أهل الحديث لرفضه القول أن القرآن مخلوق وذلك عام ٢٣١ هـ.

المتوكل فأمر بإنزالها ودفنها، وذكروا أن رأس أحمد بن نصر كانت تقرأ القرآن فى الليل بلسان طلق وذكروا أن الرأس كان يقرأ سورة يس(١).

أحضر الخليفة المتوكل الوزير محمد بن عبد الملك الزيات وقال له: فى قلبى شىء من قتل أحمد بن نصر!!.

قال الوزير: يا أمير المؤمنين، أحرقنى الله بالنار إن قتله أمير المؤمنين الواثق، إلا كافراً.

واستدعى المتوكل رجلا آخر مشاركاً فى الجريمة وهو «هرثمة» وقال له مثل ما قال للوزير.

فقال هرثمة: قطعنى الله إرباً إرباً إن قتله إلا كافراً.

واستدعى القاضى الوزير أحمد بن دؤاد المعتزلى وكان صاحب فتنة خلق القرآن من أيام الخليفة المأمون وسأله عن قتل أحمد بن نصر، فقال الوزير المعتزلى: ضربنى الله بالفالج - الشلل النصفى - إن قتله الواثق إلا كافراً.

وهكذا شهد الثلاثة وهم من المعتزلة على كفر أحمد بن نصر وأنه لم يقتل مظلوماً لأنهم هم الذين أفتوا بقتله للخليفة فما هى نهايتهم؟!(٢).

قال الخليفة المتوكل: فأما ابن الزيات الوزير فأنا أحرقته بالنار.

وأما «هرثمة» فقد هرب واجتاز بقبيلة خزاعة فعرفه رجل من الحى، فقال: يا معشر خزاعة هذا الذى قتل ابن عمكم أحمد بن نصر. فقتلوه وقطعوه إرباً إرباً!!

وأما الوزير أحمد بن دؤاد فقد أصابه الله بالفالج - الشلل النصفى -

(١) ذكره السيوطى فى تاريخ الخلفاء، والخليفة المتوكل هو جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد أخو الخليفة الواثق بالله وكان محبا للسنة.

(٢) حكى السيوطى أن الواثق بالله لما مات انشغل الناس بالبيعة للمتوكل وتركوا جثته فجاء فار فاستل عينه فأكلها!! انظر تاريخ الخلفاء.

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير، وقيل إن الخليفة الواثق بالله رجع عن إيمانه بأن القرآن مخلوق وهو الذى افرج عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

وسجنه فى جلده أربع سنين حتى مات، وصودر الكثير من ماله[٣].

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ (سورة إبراهيم: ٤٢).

وهكذا انتقم الله من البطانة الفاسدة الظالمة الواشية والتى كثيراً ما تكون حول الحكام إلا من رحم ربى.

فالظالم ينام ولكن المظلوم يبقى ساهراً يدعو الله على ظالمه، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويقسم بعزته وجلاله لينصرنه ولو بعد حين، كما جاء فى الحديث النبوى الصحيح.

(١٣٨) نهاية الخليفة قاتل أبيه الخليفة

كان الخليفة العباسى المتوكل على الله قد بايع بولاية العهد لابنه المنتصر[1] ثم المعتز ثم المؤيد، لكنه بعد ذلك أراد تقديم المعتز لمحبته لأمه.

فسأل المتوكل ابنه المنتصر أن يتنازل عن العهد لأخيه فرفض.

فكان المتوكل يحضر المنتصر مجلس العامة ويحط منزلته أمامهم ويتهدده ويتوعده.

واتفق الجنود الترك مع المنتصر على قتل أبيه، فدخل عليه خمسة منهم ومعهم المنتصر فى جوف الليل على المتوكل وقتلوه ومعه وزيره الفتح بن خاقان وذلك فى الخامس من شوال عام ٢٤٧ هـ.

عن عمرو بن شيبان الجهنى قال: رأيت فى الليلة التى قتل فيها المتوكل فى المنام قائلاً يقول:

يا نائم العين فى أوطار جسمان

أفضى دموعك يا عمرو بن شيبان

أما ترى الفئة الأرجاس ما فعلوا

بالهاشمى وبالفتح بن خاقان

(١) هو محمد أبو جعفر بن المتوكل ولقبه المنتصر بالله.

وافى إلى الله مظلوماً تضجٌ له

أهل السموات من مثنى ووحدان

وسوف يأتيكم أخرى مسومة

توقعوا لها شأن من الشان

فابكوا على جعفر وارثوا خليفتكم

فقد بكاه جميع الإنس والجان

ثم قال: ثم رأيت المتوكل فى النوم بعد أشهر.

فقلت له: ما فعل الله بك؟

قال: غفر لى بقليل من السنة أحييتها.

قلت: فما تصنع ههنا؟.

قال: أنتظر محمدا ابنى أخاصمه إلى الله.

وتولى الابن القاتل الخلافة ولم يتمتع بها إلا أشهرا معدودة دون ستة أشهر فمات وعمره ست وعشرون عاماً.

وذكروا أنه وجد فى خزائن أبيه فرشاً سجاداً فأمر بفرشها فى مجلس للهو، فرأى فى بعض البسط دائرة فيها فارس وعليه تاج وحوله كتابة بالفارسية، فطلب من يقرأ له ذلك، فأحضر مترجما فنظر فى الكتابة فقطب ولم يتكلم.

فقال له الخليفة: ما هذه؟ قال المترجم:

لا معنى لها.

فألح عليه، فكان المكتوب: أنا شيرويه بن كسرى بن هرمز قتلت أبى ولم

أتمتع بالملك إلا ستة أشهر».

فتغير وجه الخليفة القاتل وأمر بإحراق البساط ومات ولم يتمتع بالملك إلا ستة أشهر[١].

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي.

(١٣٩، ١٤٠) نهاية الخليفة المعتز بالله وأمه

بعد موت الخليفة قاتل أبيه المنتصر بالله اجتمع القواد الترك وتشاوروا، فرفضوا أن يتولى الخلافة أحد من أولاد الخليفة المقتول المتوكل بالله، وأمروا بتولية المستعين بالله أحمد بن المعتصم ثم تنكروا له وخلعوه وجاءوا بالمعتز بالله محمد بن المتوكل الذى أعد جيشاً وحارب المستعين شهوراً كثر فيها القتل حتى خلع المستعين نفسه، وتم حبسه وتولى المعتز بالله الخلافة، وأمر حاجبه سعيد فقام بذبح الخليفة المعزول فى حبسه(١).

وكان عمر المعتز بالله حين تولى الخلافة تسعة عشر عاماً وهو أصغر من تولى الخلافة حتى ٤٣٢ هـ، وهو من أحدث الركوب بحلية الذهب.

وقام المعتز بخلع أخيه ولى العهد المؤيد وقتله، وشحت فى خلافته الأموال فى بيت المال، مما جعل القواد الأتراك بالانقلاب عليه وهجموا عليه وضربوه بالدبابيس وخلعوه وحبسوه، وأخذوه بعد خمس ليال من قلعة فأدخلوه الحمام فلما اغتسل عطش فمنعوه الماء، ثم أخرج شديد العطش فسقوه ماء مثلجا فشربه فمات من فوره عام ٢٥٥ هـ.

وكان قبل خلعه قد طلب من أمه مالاً لإعطائه للجنود المتمردين،

(١) الخليفة المستعين بالله بن المعتصم كان خيراً فاضلاً أديباً كما ذكر ذلك السيوطى فى تاريخه عن الخلفاء.

فرفضت أن تعطيه أى أموال وكانت تملك من المال الكثير جداً، وكان ابنها الخليفة قد طلب منها خمسين ألف دينار فلم تعطه، فلما قبض عليها بعد موته وجدوا عندها ألف ألف دينار أى مليون وثلاثمائة ألف دينار غير المجوهرات النفيسة، فأخذ منها مالها ونفيت إلى مكة إلى خلافة المعتمد فردها إلى سمراء وماتت عام ٢٦٤ هـ(١).

وهكذا صنع المال بأهله، وصنع حب الرئاسة والخلافة بأصحابها، فأين هؤلاء وهؤلاء الكل تحت التراب، ولم يتعظ أحد، فمازال التصارع والتنافس على المال حتى الآن.

ونسى الجميع أن الملك لله يهبه لمن يشاء وما ألطف ما قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين تولى الخلافة: «وليت عليكم ولست بأفضل منكم..» فالخلافة والرئاسة أمانة وتكليف وأما الملك الحقيقى فهو لله الواحد القاهر سبحانه وتعالى.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى.

(١٤١) نهاية الزوجة الخائنة
«غرام وانتقام»

ذكرت هذه القصة إحدى الصحف العربية، وتقع أحداثها عام ١٩٩٩ م فى أحد البلاد العربية، فالزوجة تعيش حياة هادئة مستقرة كل شىء متوفر لديها .. الزوج والأولاد.

وفى إحدى السفريات مع صديقاتها وفى الطائرة جلس بجوارها شاب وسيم وجرى بينهما حديث عادى وتعارف، وانتهى بأن أعطاها اسم الفندق الذى سيقيم فيه.

ووسوس لها الشيطان أن تتصل به فى فندقه، فقاومت إلا أنها استسلمت واتصلت به، وتم اللقاء الأول بينهما فى بلاد الغربة، والخطوة الأولى أدت إلى ثانية وثالثة إلى ما لا نهاية وكان الشيطان ثالثهما، وأصبحت الزوجة عشيقة لهذا الشاب الذى أصبح زوجها الحقيقى.

ومرت سنوات على تلك العلاقة الآثمة المشينة، وكان هذا الشاب يستولى على أموال هذه الزوجة الخائنة التى تأخذها من زوجها المخدوع.

وذات يوم قال لها الشاب ببرود وهدوء شديد:

ـ منذ تلك اللحظة اعتبرى كل ما بيننا انتهى.

غضبت الزوجة الخائنة وحاولت أن تعرف أسباب هذا الفراق

والانفصال منه، فلم يجبها.

فقالت فى نفسها: لقد أعطيته سنوات عمرى ونفسى ومالى ليقول لى الآن وبكل برود، لقد انتهى كل شىء!!

وحاولت استرجاعه فلم تستطع، وراقبته فعلمت أنه خطب فتاة من عائلة، فجن جنون الزوجة الخائنة، وقررت الانتقام منه.

وذهبت إلى زوجها وسردت عليه رواية كاذبة مفادها أن هذا الشاب يطاردها كل يوم بسيارته وأعطته رقم السيارة كى ينتقم منه.

وتوجه الزوج المخدوع إلى الشرطة وقدم بلاغاً ضد الشاب العشيق، فلما أحضروه قدم لهم صوراً تكشف العلاقة بينه وبين تلك الزوجة الخائنة.

وعلم الزوج بحقيقة أمر زوجته، فتوجه إلى البيت وأمسك بها وضربها ثم طردها من المنزل وطلقها وانتهى أمرها بفضيحة مروعة[١].

(١) انظر جريدة اليقظة العدد ١٥٦٣ فى ١٢ - ١٨ فبراير ١٩٩٩ م وقد ذكرناها باختصار

(١٤٢) نهاية الوزير المتكبر

كان رجلاً عادياً يعمل بالتجارة، ثم تقرب إلى السلطة السياسية فى البلاد فولاه الوالى الحسبة، وتقرب من الملك الأشرف قبل أن يتولى السلطة فلما أصبح ملكاً على البلاد ولاه الوزارة.

إنه الوزير شمس الدين محمد عثمان بن أبى الرجال التنوخى المعروف بابن السلعوس وزير الملك الأشرف.

انتقل من صفوف العامة إلى ذوى النفوذ والسلطة وأصبح وزيراً متخماً بالثراء والنفوذ، ولكن صار يتعاظم على خلق الله وعلى أكابر الأمراء ويسميهم بأسمائهم دون ألقاب، ويترفع عليهم، بقربه من السلطان.

فلما قتل الملك الأشرف قبض عليه وضرب وأهين وأخذت أمواله ومات تحت الضرب الذى جاوز ألف مقرعة[١].

وهكذا ما علا طير وارتفع إلا كما علا وقع، والأيام دول بين الناس فلا يغتر أحد بمنصب أو وزارة من مناصب الدنيا.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

(١٤٣) نهاية من طعن فى الله ورسوله

ذكر ابن كثير رحمه الله فى تاريخه أنه فى يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع عام ٧٠١ هـ حكم القاضى ابن مخلوف المالكى قاضى الديار المصرية على الفتح بن أحمد الثقفى بالقتل بما ثبت عنده من تنقيصه للشريعة واستهزائه بالآيات المحكمات ومعارضة المشتبهات بعضها ببعض.

ويذكر عنه أنه كان يحل المحرمات من اللواط والخمر وغير ذلك.

والغريب أنه كان يتظاهر بالهيئة الحسنة وأنه وقف عنه شباك دار الحديث بين القصرين، واستغاث بالقاضى تقى الدين بن دقيق العيد.

فقال له: ما تعرف منى؟

فقال: أعرف منك الفضيلة، ولكن حكمك إلى القاضى ابن مخلوف.

ونفذ فيه حكم القاضى ابن مخلوف وضرب عنقه وطيف برأسه البلد ونودى عليه:

هذا جزاء من طعن فى الله ورسوله ﷺ. ويا ليت تلك الأحكام تعود لمن يطعنون فى الله ورسوله ﷺ فى زماننا هذا.

(١٤٤) نهاية أحد الزنادقة

ذكر ابن كثير فى تاريخه أنه عقد فى دار العدل مجلسا اجتمع فيه القضاة والأعيان وأحضر أحد الزنادقة ويطلق عليه عثمان الدكاكى، وادعى عليه بعظائم الأمور من القول، وقامت عليه البينة أنه يدعى الألوهية وينتقص الأنبياء، وتم تكفيره فى المجلس، فادعى أن له دوافع فى الكلام وله اعتراضات وشهود فأعيد مقيداً مغلولاً لجلسة أخرى.

وفى جلسة أخرى أحضر الرجل الزنديق أمام المجلس وسئل عما لديه من دوافع، فلم يكن عنده من شىء يذكر أو يدافع به عن نفسه، ثم اجتمع الحكم عليه بالقتل وإن تاب(١)، فقتل حدّاً.

(١) البداية والنهاية وكان ذلك فى دمشق فى ٧٤١ هـ.

(١٤٥) نهاية من سب الرسول ﷺ

اتهم عثمان بن محمد المعروف بابن دبادب الدقاق بأنه يسب الرسول ﷺ، وأحضر إلى القضاء وشهد عليه جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب أنه كان يكثر من شتم الرسول ﷺ فأظهر أمام الحاكم المالكى الجبن، إلا أن شهادة الشهود أكدت الواقعة عليه فحكم عليه بالقتل فى شهر رمضان سنة ٧٦١ هـ.

وهذا جزاء من سب الرسول ﷺ أنه لا يستتاب وإنما يقام عليه حد القتل إذا ثبت عليه ذلك كما أفتى بذلك العلماء والفقهاء.

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير.

(١٤٦) نهاية شاب عابث

ذكر أحد الشباب أنه رأى حادثة مروعة فى طريق مكة المكرمة جدة، سيارة قد أصيبت وتهشمت فنزل الشاب ومن معه، فوجدوا شابا فى الرمق الأخير من حياته ومسجل السيارة مفتوحاً على أغان غربية، يقول الشاب:

أغلقنا المسجل، ونظرنا إلى الشاب وما يعانيه من سكرات الموت، فقلنا: هذه فرصة لعل الله أن يجعل على أيدينا فلاح الرجل فى آخرته فأخذنا نقول له: يا هذا، قل لا إله إلا الله.

لكن الشاب المحتضر صدمهم وهو فى سكرات الموت بقوله: يلعن دينك ودين دينك ما بدى أصلى ولا بدى أصوم.

لقد كانت تلك الكلمات القاسية كالصاعقة عليهم حتى أصابهم الذهول، ومات الشاب على ذلك.

وعلموا أنه كان فى حياته لا يصلى ولا يصوم وبعيداً عن الدين، ويعيش حياة اللهو والمعصية فختم له بذلك، وكان هذا المشهد سبباً فى توبة من رآه(١).

(١) انظر التحذير من سوء الخاتمة لعبد الحميد السحيبانى. بتصرف يسير.

(١٤٧) نهاية الوزير الخائن لبلاده ودينه

هاجم التتار بقيادة هولاكو أسوار بغداد أيام الخليفة المستعصم بالله، وحاصروها كى تستسلم، فكان الوزير ابن العلقمى وزير دار الخلافة عوناً للتتار على أهله وعلى الإسلام، وساعدهم حتى دخلوا بغداد وقتلوا قرابة المليون من المسلمين ودمروا البلاد تدميرا، وقتل الخليفة العباسى شر قتلة هو وأهله، كل ذلك بمساعدة الوزير الخائن ابن العلقمى.

وكان سبب خيانة الوزير أنه كان يريد الحكم والولاية للعلويين على بنى العباسى فعرض الأمر على التتار فوافقوا ثم لما استتب لهم الأمر وقضوا على الخلافة العباسية واحتلوا العراق وبلاد الإسلام لم يعطوه شيئاً وتركوه مهملاً وذاق الخزى فى الدنيا.

ورأته امرأة من بغداد وهو فى الذل والهوان راكباً حماراً ويسوقه سائق أيام التتار فقالت له: يا ابن العلقمى.. هكذا كان بنو العباس يعاملونك.

فلم يرد عليها، ولزم بيته حزينا بعد أن أهانه التتار والمسلمون ومات على حالته تلك.

(١٤٨) نهاية العابد المفتون

روى طاووس رحمه الله أن رجلاً من بنى إسرائيل وكان عابداً، وكان ربما داوى المجانين، وكانت امرأة جميلة أخذها الجنون، فجئ بها إليه فى صومعته، وتركها أهلها عنده، فأعجبته، فوقع عليها فحملت.

فجاءه الشيطان فقال له: إن علم أهلها بهذا افتضحت، فاقتلها وادفنها فى بيتك.

فقتلها، ودفنها فى بيته، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه عنها، فقال لهم:

- لقد ماتت.

فصدقوه ولم يتهموه لصلاحه فيهم، فجاءهم الشيطان - فى المنام - وقال لهم:

إنها لم تمت، ولكنه وقع عليها، وحملت منه فقتلها ودفنها وهى فى بيته فى مكان كذا وكذا.

فجاء أهلها وقالوا للعابد: ما نتهمك ولكن أخبرنا عن مكان دفنها.

ففتشوا بيته، فوجدوها حيث دفنها، فأخذ فسجن.

فجاءه الشيطان فقال له:

إن كنت تريد أن أخلصك مما أنت فيه وتخرج منه، فاكفر بالله واسجد لى سجدة.

فأطاعه العابد وسجد له، فتركه الشيطان وقال له: إنى برئ منك إنى أخاف الله رب العالمين وتركه ليلاقى مصيره من القتل.

قال طاووس: فما أعلم إلا أن هذه الآيات نزلت فيه:

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الحشر: ١٦).

وهكذا فعل الشيطان مع أتباعه وأعوانه من بنى الإنسان، فبعد الغواية والوقوع فى المعصية يخرج الشيطان لسانه إلى من اتبعه ويتركه كى يلاقى مصيره.

وجاءت القصة فى كتب التفسير للآية السابقة من سورة الحشر إن العابد من بنى إسرائيل كان فى صومعته فوق الجبل وجاء الشيطان وفتنه، وقد جاء على شكل رجل عابد يريد التعلم، فلما أوقعه فى الزنا جاءه كى يقتل الفتاة، ثم جاء إلى أخوتها فى المنام وأخبرهم بما فعله العابد الراهب، ثم جاء فجعله يسجد له كى ينجيه، فلما فعل تركه يلاقى نهايته، وكان أجدر بهذا العابد أن يتعلم من مواقف الشيطان العديدة معه ولكنها الفتن، نسأل الله النجاة منها(٢).

(١) انظر تفسير عن الرزاق والدر المنثور.

(٢) انظر تفسير ابن كثير.

(١٤٩) نهاية ابن الراوندى

أحمد بن يحيى بن إسحاق بن الراوندى، لازم الملاحدة فى عصره وردد أقوالهم، فإذا عوتب فى ذلك قال: إنما أريد أن أعرف أقوالهم.

وكان يعمل بالتأليف وتصنيف الكتب، فصنف كتاباً لليهود ينصرهم على المسلمين مقابل مائتى درهم، وكان لا يستقر على مذهب أو نحلة.

ومن كفره أنه قال إن فى القرآن لحن.

وقال: يقولون: لا يأتى أحد بمثل القرآن، فهذا «أقليدس» - فيلسوف - لا يأتى أحد بمثله.

وطلبه السلطان ليحاكمه فاختفى عند ابن لاوى اليهودى، فوضع له كتاب «الدامغ»، وظل مختفياً قليلاً، ثم ما لبث أن أصابه المرض فمات وذلك عام ٢٩٨ هـ[١].

(١) انظر الملل والنحل للشهرستانى والفهرست لابن الـ[illegible] ومعنى قوله فى القرآن لحن أى خطأ.

(١٥٠) نهاية شارب الخمر

ذكر عثمان بن عفان ﷺ قال: أن رجلاً ممن كان قبلكم تعبد فعلقت به امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها فقالت له: إنا ندعوك للشهادة.

فانطلق مع جاريتها، فطفقت الجارية، كلما دخل باباً أغلقته دونه حتى أفضت إلى امرأة وضيئة - جميلة - عندها غلام وإناء خمر، فقالت: إنى والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع علىَّ، أو تشرب من هذه الخمر كأساً أو تقتل هذا الغلام.

قال العابد: فاسقينى هذه الخمر.

فقد ظنها أهون الثلاثة.

فسقته كأساً، قال: زيدونى.

فلم يزل يشرب حتى وقع عليها، وقتل الغلام.

قال عثمان بن عفان ﷺ: فاجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، فإنه والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر، إلا ليوشك أن يُخرج أحدهما صاحبه.

لقد اعتقد الرجل أنه أخذ أخف الكبائر فوقع فى الكبائر كلها.

نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم الكتاب المبارك بعون الله

أخرجه النسائى فى سننه وابن حبان والبيهقى فى سننه الكبرى.

أهم المراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ تفسير ابن كثير.

٣ ـ تفسير القرطبى.

٤ ـ تفسير الفخر الرازى.

٥ ـ تفسير روح المعانى للآلوسى.

٦ ـ تفسير فتح القدير للشوكانى.

٧ ـ تفسير فى ظلال القرآن ـ سيد قطب.

٨ ـ تفسير الكشاف للزمخشرى.

٩ ـ تاريخ الإسلام للذهبى.

١٠ ـ سير أعلام النبلاء للذهبى.

١١ ـ ١٥٠ قصة لرجال ونساء مبشرين بالنار ـ منصور عبد الحكيم.

١٢ ـ ١٥٠ قصة لرجال ونساء استجاب الله دعاءهم ـ منصور عبد الحكيم.

١٣ ـ البداية والنهاية لابن كثير.

١٤ ـ الكبائر ـ للذهبى.

١٥ ـ قصص الأنبياء لابن كثير.

١٦ ـ السيرة النبوية لابن هشام.

١٧ ـ الدر المنثور للسيوطى.

١٨ ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثمى.

١٩ ـ صفة الصفوة لابن الجوزى.

٢٠ ـ مجابو الدعوة لابن أبى الدنيا .

٢١ ـ نشوار المحاضرة للقاضى التنوخى.

٢٢ ـ زوجات الرسل والأنبياء ـ منصور عبد الحكيم.

٢٣ ـ صحيح البخارى وصحيح مسلم.

وكتب أخرى ذكرت فى الهوامش.

الكاتب فى سطور

- منصور عبد الحكيم محمد عبد الجليل
- من مواليد القاهرة.
- حاصل على ليسانس فى الحقوق - جامعة عين شمس ١٩٧٨ م
- يعمل بالمحاماة والكتابة
- له العديد من المقالات الدينية فى الصحف والمجلات ومحاضر فى موضوعات الطب النبوى.

صدر له كتب:

١ - ١٥٠ قصة لرجال ونساء مستجابى الدعوة.

٢ - ١٥٠ قصة لرجال ونساء مبشرين بالجنة.

٣ - ١٥٠ قصة لرجال ونساء مبشرين بالنار.

٤ - ١٥٠ قصة لرجال ونساء رضوا بالقضاء والقدر.

٥ - ١٥٠ قصة لرجال ونساء بكوا من خشية الله.

٦ - ١٥٠ قصة للفرج بعد الشدة.

٧ - ١٥٠ قصة من قصص الصالحين والزهاد جزء أول.

٨ ـ ١٥٠ قصة من قصص الصالحين والزهاد جزء ثان.

٩ ـ ١٥٠ قصة من قصص الصالحين والزهاد جزء ثالث.

١٠ ـ ١٥٠ قصة للتائبين العائدين إلى اللّٰه.

١١ ـ معجزات الشفاء بالحجامة.

١٢ ـ ١٠٠ قصة عن ذكاء الصحابيات.

١٣ ـ ١٠٠ قصة لرجال ونساء عفا عنهم الرسول.

١٤ ـ بنات الصحابة.

١٥ ـ نساء أهل البيت النبوي.

١٦ ـ ١٥٠ قصة لرجال ونساء حول الرسول ﷺ

١٧ ـ ١٥٠ قصة لشهداء الصحابة

وكتب أخرى.

الفهـــرس

150 قصة

من نهاية الظالمين والظالمات



الظلم من ظلام النفس وتحجر القلب وغلظته. هو أيضا ظلمات يوم القيامة حيث تقوم الساعة وتستعر جهنم والعياذ بالله على الظالمين والظالمات. والظلم ضد التقوى التى هى مخافة الله عز وجل وخشيته.

ولأن الظلم ضد شريعة العدل والرحمة، فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بألا نتبع الظالمين أو السير وراءهم مهما علا شأنهم. كذلك حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من مغبة الانقياد وراء الظلم وأوهام القوة والبطش عملا بإرشادات إبليس اللعين.

وهذا الكتاب تحدثنا موضوعاته عن قصص الظلم والظالمين والظالمات، بما يدعونا للتفكر فى نهايات هؤلاء ومصيرهم الذى آلوا إليه. فى رسالة سلام لتهذيب النفس والتحلى بالحكمة والعدل ليس لشىء إلا إرساء لمبدأ الإسلام الحنيف فى محاربة الظلم والدعوة إلى الرحمة التى هى قانون الأسوياء الذين يحبهم الله سبحانه وتعالى وينير قلوبهم .. !!

W.Salama 010 15 17 873

I.S.B.N. 977-376-086-3

9 789773 760863

دار الكتاب العر...
دمشق - القاه...